

نُصَيَاتُ الْوَدَاعِ

(خُطَبٌ فِي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ)

إعداد
حمزة بن فايع
إبراهيم آل فتحي عسيري



ثَنِيَّاتُ الْوَدَاعِ

(خُطْبَا فِي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو

اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) سورة الأحزاب: ٢١ .

(رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً

إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) سورة آل عمران: ٨ .

ثَنِيَّاتُ الْوَدَاعِ

(خطباً في السيرة النبوية)

قال علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه :
«كنا نعلِّمُ مغازي النبي وسراياه كما نعلِّمُ السورةَ من القرآن» .

وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله
عنه : "كان أبي يُعلمنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يُعدها علينا، ويقول: هذه مآثرُ آبائكم فلا تضيعوا ذكرها " .

البداية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، خَالِقِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ ، مَنْ عَلَيْنَا بِالذِّكْرِ
الْحَكِيمِ وَالنُّورِ الْمُبِينِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً
لِلْعَالَمِينَ ، وَقُدْوَةِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ

أما بعد:

فمهما تأصَّلَ بعضُكم في العقيدة، أو انسابَ في معاني التفسير ، أو
أخذته غصونُ الفقه، أو خطفته مزاهرُ اللغى والأشعار ، فلا بد أن
يحظى بمغانم السيرة النبوية ، ويجددَ فيها معارفه ، ويطلقُ فيها
بصيرته ، ففيها عقيدةٌ وتفسير، وفقهٌ وتأصيل ، وشعرٌ وأدب ،

وسنةٌ وتاريخٌ ..! اذ جمالياتها لا تنقضي ، وحلاوتها لا تكادُ
تذبلُ ، قد وضع اللهُ فيها معاقِدَ الجذب، ومراكزَ الأسر...! ومن
المؤسفِ هجرانُها في الطروحَاتِ المنبرية ، فلا تكادُ تجد
الحفاوةَ بها في منبر الجمعة ، إلا عند زمرةٍ محدودة من الخطباء
المتعقلين ..!

وَمَا بَقِيَتْ مِنَ اللَّذَاتِ إِلَّا * * مُحَاوَرَةُ الرِّجَالِ ذَوِي الْعُقُولِ
وَقَدْ كَانُوا إِذَا عُدُّوا قَلِيلًا * * فَقَدْ صَارُوا أَقَلَّ مِنَ الْقَلِيلِ

والسببُ اعتقادُ طولِ قصصها، وعدم القدرة على اختصارها ، أو
أنها موادٌ ترويحية تخلو من العمق الروحي المقصود ...!
وخفي عليهم أنَّ السيرة النبوية هي التطبيقُ العملي للإسلام :
عقائدٌ وأحكامًا ، وشرائعٌ وآدابا ، وأسسًا وأخلاقًا ، وأصولًا

وفروعًا ، وتجد فيها العقيدة والسلوك، والأدب والحكمة،
والدرس والعظة ، والقاعدة والمنهج....! ولذلك كان لزاما على
كل خطيبٍ واعٍ، ومتحدثٍ حاذق ، أن لا يهجرَ درسها، أو يغيبَ
عن فقهياتها، لا سيما والناس مشوقة إلى ذلك.... وقد قال
تعالى: (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) سورة الأعراف.

وتلحظُ فيها من أسرار الإيمان ما يُشعلُ جذوة الحماس فيك،
وتُنهضُ جذورَ الحركة عندك، وتُلهبُ عزيمةَك ، وتعلي هممك،
وتهدبُ أخلاقك .

ففي السيرةِ سرٌّ وسُرر ، وتبر وذرر، وعطرٌ وغُرر، وجوهرٌ ،
ومهما تعذر طالبُ العلم بمشاريعه وكثرة صوارفه، فإن السيرة

العطرة لبُّ هذا المشروع ، وصفوئُهُ وزينُهُ ، وقلادته الحاوية ،
وعقدُهُ الغالي الثمين ... !

ولذلك وِدِدْتُ جَمَعَ خطب فيها معدودة ، بلغت بِنَا "الأربعين
خطبة" ، مخصوصة في السيرة وأحداثها ، والسيرة وشمائلها ،
والسيرة ومواقفها ، راجياً النفع بها أولاً لنفسي ، ثم إخواني
الخطباء ثانياً .

وحرّصتُ فيها على السهولة والاختصار ، وسميتها باسم
تاريخي تهتُّزُّ له الأرواح (ثَنِيَّاتُ الْوَدَاعِ فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ الْمَطَاعِ)
وهو مدخل قدوم رسول الله عليه الصلاة والسلام يومَ الهجرة ،
وإن كان لا يثبت سنداً ، ولكنَّ المكان معروف مشهور ، تحدد أو
تنوع ، على الجدل العلمي في ذلك بين أهلِ التواريخ والسير... !

وقد صرْتُ مشدوداً إلى ذلك المصطلح الذي ارتبط
بمشاعرنا وبقصة الهجرة، والأبيات الشعرية المرددة من أيام
الطفولة فيه:

طلع البدر علينا ** من ثنيت الوداع

وجب الشكر علينا ** ما دعا لله داع

ومن الموافقات الحسنة، أني بدأت تقييدها في أواخر شهر ذي
الحجة، وفي هذه اللحظات في مطلع العام الهجري الجديد
(١٤٤٣هـ) عاكفٌ على كتابة مقدمة الكتاب، الذي أرجو حُسنَ
عاقبته من الواحد الأحد .

والذي غالباً ما يتحدث فيه الخطباء عن مدخل السنة الهجرية
الجديدة، ويذكرون بذلك الحدث التاريخي الذي غيرَ وجهَ

الدنيا، فانقدح في الذهن مصطلح "ثنيات الوداع"، الذي بات
مغروزا في قلب كل مؤمن وموحد.... لندائه في كل قلبٍ
...مؤمنٍ وخز الرماح...

فأحببنا نعت الكتاب بذلك تجديداً لمعنى الهجرة والسيرة،
ويحوي نحو أربعين خطبةً سيرية نافعة بإذن الله، وقد دارت في
صفاته أو مواقفه أو غزواته عليه الصلاة والسلام...!
وللسيرة مذاقٌ خاص، وطُعمَةٌ محبَّبة، وريحٌ عابِق، وغصنٌ
مخضر، لا يُشبعُ من أحاديثها، ولا تُملُّ نواذرهما....

تذوبُ شخوصُ الناس في كل لحظةٍ * * وفي كل يومٍ أنت في القلب تكبرُ

أَسْأَلُ عَنْ أَعْمَارِنَا أَنْتَ عُمْرُنَا * * وَأَنْتَ لَنَا التَّارِيخُ أَنْتَ الْمُحَرَّرُ

ولن تستطيع أن تفقه هذه المسألة وعظمتَه عليه الصلاة والسلام،
إلا بالرجوع إلى سيرته، واستلهاهم هديه ، وتأملِ شمائله ، وما
حلاه وجمّله به المولى الكريم .. (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) سورة الأحزاب .

فهو أسوةٌ حسنةٌ كُملت من جميع الجوانب ، تندهش من
أخلاقه، وتعجب من صفاته ، وتَحَارُّ من روائعه .. وتنجذبُ
الروحُ للغوص في أحاديثه وتعاليمه ...

ولذلك آملُ أن تكونَ هذه الكلمات الثنّيات مفتاحًا صحيحًا إلى
السيرة ، له أسنانه وأدلتُه وبراهينه ، وهي محاولةٌ لتقريب السيرة
إلى منبر الجمعة ، وجعله يقظًا رقيقًا ، بأخبار السيرة وأفنانها
وعجائبها ، حتى تتعرفَ الخلائقُ على السيرة وجمالها وأعطارها

...! فكم فات من الوقت، وبُددت من الأزمنة، وبعضنا لا يزالُ

يتقاصرُ عن وعي السيرة النبوية ودروسها وعظاتها، وقد قال

تعالى: (لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولي الألباب) سورة

يوسف .

يقول العلامةُ ابن القيم رحمه الله: " وإذا كانت سعادةُ العبد في

الدارين معلقةً بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، فيجب على كل

من نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه

وسيرته وشأنه مَا يَخْرُجُ به عن الجاهلين به، ويدخل به في عِداد

أتباعه وشيعته وحزبه. والناس في هذا بين مستقِل، ومستكثِر،

ومحروم. والفضل بيد الله يُؤْتيه من يشاء، والله ذو الفضل

العظيم".

ومن المؤسفِ تقصيرُ بعضِ الدعاة ، الذين يتكلمون في كلِّ
الإنشائيات الوعظية ، ويجولون برؤوسهم في كل نطاق ، فإذا
حضرت السيرةُ ، انكشفَ ضعفُهُ ، وتقصيرُهُ اطلاعًا وفقها
واستنباطًا..!

ولو دققوا وتفكروا، لعلموا أن السيرةَ برحابها الأفصحِ الرائقِ ،
أكبرُ مخزونٍ وعظي وأدبي يلائمهم ..! ولكن متى نفقه هذه
اليقظةَ الفكرية، ونستيقظُ من سباتِ الإنشاءِ الفسيحِ، الذي
تضخمُ وتعالى ، دون جدوى وتأثيرٍ وتجديدٍ....!!

ومن خلال تجربة العبد الفقير في المنبر، والتي تجاوزت الخمس
عشرة سنة بحمد الله ، ما تحدثت عن السيرةِ وشيء من لمعها

ودررها، إلا انشد الحضور، وأصغت الأسماع، وتفاعل

الناس... بخلاف موضوعات أخرى...!

والسرُّ.. أسلوبها القصصي، ورحيقها الإيماني، ودورانها حول

الشخصية التاريخية المباركة، رسولنا صلى الله عليه

وسلم... وهي مقدماتٌ حافزةٌ للعناية والإبراز، والتفنن في

الانتقاء، لا التخفي والانزواء...

والله نسأل عونه وتوفيقه، وفضله وتسديده، إنه أكرمُ مسؤول،

وأعظمُ مأمول، والسلام..

محايل عسير

١ / ١ / ١٤٤٣ هـ

٨ / النذارة الأولى:

الحمدُ لله المنعمِ علينا بالأفضال ، قدرَ الأرزاق والآجال ، وأنشأ
السحابَ الثقال ، والصلاة والسلام على رسول الهدى والآمال ،
والطيب الوقور المفضل ...

أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهدُ أن محمداً عبده
ورسوله ، صلى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ...

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

أما بعد:

معاشرَ المسلمين :

هلمُّوا إلى النذارة الأولى ، والبلاغ المبدئي ، والشجاعة المبكرة ،
والصعود الدعوي ، الذي قام به رسولنا الكريم صلى اللهُ عليه

وسلم وقد اصطفاه ربه ، وهياً لهذه الرسالة، واصطنعه
اصطناعاً مباركاً ، قذف فيه روح العمل، والشجاعة الإيمانية،
الذي جعلته يصدحُ بالحق بين ظهرائي المشركين يا صباحاه..
فالأمْرُ خطير .. ويا صباحاه ، والخطبُ شديدٌ... ولا يحتمل
التأخير...!

يقول ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما كما في الصحيحين : لَمَّا نَزَلَتْ
هَذِهِ الْآيَةُ : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ)
؛ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ:
" يَا صَبَاحَاهُ " ، فَقَالُوا : مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتَفُ ؟ قَالُوا : مُحَمَّدٌ،
فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ. فَقَالَ : " يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا
بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ " فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ. فَقَالَ :

أَرَأَيْتُمْ، لَوْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ " قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا. قَالَ: " فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ". قَالَ: فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّا لَكَ، أَمَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا، ثُمَّ قَامَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَدَّتْ .

وفي رواية أخرى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا أُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا. فَاجْتَمَعُوا. فَعَمَّ وَخَصَّ. فَقَالَ: " يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي مُرَّةِ بْنِ كَعْبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي هَاشِمٍ

أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ
النَّارِ. يَا فَاطِمَةَ أَنْقِذِي نَفْسِكَ مِنَ النَّارِ. فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا. غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَابَلُهَا بِبِلَالِهَا".

فتأمل هنا: صعد على جبل الصفا .. فاذا وفقت للسفر للعمرة،
وظالعت الصفا ، تذكر حبيبك عليه الصلاة والسلام، وقد صعد
هنالك فحذر وأنذر، ونصح وذكر، .. ! وقف الموقف العظيم
أمام رؤوس مكة ، لينادي لهم ببطلان ما هم عليه من الوثنية، وأن
العبادة لله وحده.. (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) .

فأنا هنا الرسول المبين للحق ، والنبي الآتي بالهداية ، والنذير
المحذر لكم من أهوال القيامة ، والعذاب الشديد المنتظر

هنالك...!

(فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ).

فثمة دار آخرة تترقبكم، وفيها تُسألون وتحاسبون ، وثمة عقابٌ
أخروي لمن كذبَ وأعرض ، ونعيمٌ مخلَّد لمن آمن واستعبر ،
وعلم أنّ بعد الحياة، حياةً أخرى، يقول فيها الكافرُ: (يا ليتني

قدمتُ لحياتي)...!

فماذا قدّمنا نحنُ لحياتنا الأبدية. !؟

وفي نذارته للأقربين ، دليلٌ على العناية بالقرابة والأصحاب ، قبل
البعداء والأجانب ، وفضلُ التعرّز بهم أولاً ، وأنّ هدايتهم قوةٌ
للدعوة، ولكل قضيةٍ مصيرية (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) سورة

الشعراء .

وفي مناداته لهم (يا صباحاه) : حفز لهم واهتمام ، وأن الأمر عظيم، يتطلب الخروج والاستماع، والحشد والإسراع . ولذلك استجابت له غالب بطون قريشٍ ومن لم يجب النداء أرسل رسولاً ليسمع خطاب محمد، ونداء الصادق الأمين ..

(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) سورة آل عمران ١٦٤ .

اللهم اجعلنا من أنصار دينك ، وأتباع سنة نبيك ، وانفعنا بهديه وسيرته ، إنك جواد كريم

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.....

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ،
وعلى آله وصحبه أجمعين.....

وبعد :

أيها الإخوة الفضلاء :

وفي حديث النذارة الأولى ، إنذار لنا باهمية العمل ، وحملان
الدعوة ، والشعور بالمسؤولية المجتمعية والأخلاقية...! إذ كيف
تَهتدي ولا تهدي الآخرين ، وكيف تصلي ولا ترحم إخوانك
وجيرانك ، وكيف تصيبُ خيرًا وتحرّمُ منه الناس... (وأُنذر
عشيرتك الأقربين). وهذا أولاً .

وثانيًا: نتعلم الشجاعة في قول الحق ، والصدع بالتوحيد، ونبذ
الآلهة المكذوبة . وثالثًا: تذكيرهم النار خطورتها، وأن مصير

البشر إلى مستقر مكين، في جنات ونهر، أو في جحيم وسقر،
فتلك للمؤمن، والشانئة المخيفة للكافر والمنافق، وقد كان
صلى الله عليه وسلم يستعيد بالله منها، دبر كل صلاة، وصباحاً
ومساءً.

ورابعاً: وجوب صلة الأرحام، وأن من أعظم الصلة الشفقة
عليهم ودعوتهم إلى الحق والنور، الذي هُديت إليه، وتخويفهم
الإهمال والضياع (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا) سورة
المؤمنون.

وخامساً: أن سمعة الداعية وحسن سيرته تشفع له عند الناس (ما
جربنا عليك كذباً قط) فحسنوا أخلاقكم لتطب دعوتكم،

وتسلم نصيحتكم، وحتى وإن قوبلت بالرفض ابتداءً، ولكنها
أحدثت أثرها في قلوب بعضهم، وهزت عقائدهم المشؤومة .
وسادسًا: صبر رسول الله على جفاء عمه أبي لهب وغلظته، وقد
دافع الله تعالى عن رسول الله وأخزي المشرك بقوله: **(تَبَّتْ يَدَا**
أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ). أي: خسرت يداه، وشقي **{ وَتَبَّ }** فلم يربح،
وقد كان كذلك .

وصلوا وسلّموا يا مسلمون....

٢ / دُرُوسُ حَادِثَةِ شِقِّ الصَّدْرِ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَشْرَقَتْ الدُّنْيَا بِأَنْوَارِهِ، وَامْتَنَّ عَلَيْنَا بِاللِّطَافِ وَأَسْرَارِهِ،

أَرْسَلَ الرِّسْلَ وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ، وَأَكْرَمَنَا بِالرَّسُولِ الْأَمِينِ،

وَالْبِرْهَانَ الْمُبِينِ، الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ....

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا

عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا..

أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ:

هَلْ سَمِعْتُمْ سِيرَةَ، أَوْ قَرَأْتُمْ قِصَّةَ أَجَلِّ مِنْ قِصَّةِ رَسُولِكُمْ الْكَرِيمِ،

فَلَقَدْ حُفِظَتْ مِنْ صَبَاهِ إِلَى وَفَاتِهِ، وَدُونَتْ أَخْبَارُهُ، وَسُطِرَتْ

أحداثه، وعُرِفَتْ غزواته، وضُبطت سفرائه، وعُرِفَ فيها كُلُّ
صغيرٍ وكبيرٍ، وكلُّ قليلٍ وكثيرٍ...!

ومثلُ هذا المعنى والتشريف الكبير، يستدعيك لقراءتها،
وتأمل ما فيها من العجائب والنفائس، وتدبر ما احتوت من
القضايا والخصائص...!

ومن ذلك "حادثة شق الصدر"، والعملية الجراحية التي
أُجريت له في صغره، فضلاً من الله ونعمة، وكأنها كانت إرهاباً
وتهيئة للنبي - صلى الله عليه وسلم - لما سيتحملة من أمر
الرسالة، وعبء الدعوة، وجعلت الناس يحسبون حساباً،
ويرقبون شأنه، وينتظرون عظمته.

وقد صحت فيها الأحاديث وتواترت ، ومن ذلك :

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم، وهو يلعب مع الغلمان،
فأخذه، فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه
علقة. فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من
ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان
يسعون إلى أمه - يعني ظئره - المرضعة، فقالوا: إن محمدا قد
قتل، فاستقبلوه، وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر
ذلك المخيط في صدره.

فجاءت هذه الحادثة لتصنعه للنبوّة ، وتُعدّه إعداداً صحيحاً ،
يحتملُ رهقَ الدنيا، ويزهد في لهوها، وليمتلئ إيماناً وحكمة ،
ونوراً ومعرفة .

وكان فيها تطهير قلبه، وخلوص نيته، وتصفية ميوله؛ إذ ليس
الصبي محمد كغيره من الصبية، ولذلك نشأ وترعرع ، وهو بعيدٌ
عن مظاهر الشركِ واللّهو، وجنبه اللهُ ملاعب التيهِ واللّهو ، فنُقّي
من ذلك كله ، فلم يعد هنالك مجالٌ للوساوس في حياته .

وقال بعض العلماء: الحكمةُ في شق صدره الشريف صلى الله
عليه وسلم - مع القدرة أن يمتلئ قلبه إيماناً، وحكمة من غير
شق - : الزيادة في قوة اليقين؛ لأنه أعطي برؤية شق بطنه وعدم
تأثره بذلك ما أمنَ معه جميع المخاوف العادية؛ فلذلك كان -

صلى الله عليه وسلم - أشجعَ الناسَ حالاً ومقالاً ، وصبرَ في
المواقفِ الجسام . وقد قال له ربه تعالى : (فاصبرُ كما صبرَ أولوا
العزم من الرسل ، ولا تستعجل لهم) .

اللهم زدنا إيماناً وعملاً ، وحكمةً و يقيناً ، إنك على كل شيءٍ

قدير...

الحمدُ لله وحده ، والصلاةُ والسلام على من لا نبي بعده ، نبينا
محمدٍ وعلى آله وصحبه ، ومن والاه....

وبعد :

أيها الإخوة الفضلاء :

هذه حادثةُ شق الصدر العجيبة ، والخطبُ التاريخي العظيم ،

الذي ينبئ بحصول شيء يكون ترتيباً لآخر معظم ...!

ولذلك تكررت نحو ثلاثِ مراتٍ في حياة رسول الله ، وقوعاً

حسباً حقيقياً ، ولكنها معجزةٌ تحصلُ في لحظات خاطفة ، تقديراً

من الله وحكمة ، ولذلك في زمن الصبا توقع الغلمان أنه قُتل أو

نيل منه ، وعمره قرابة أربع سنين ، فجاء متغيرَ الوجه ، حتى

خافت عليه حليلة السعدية ، وأعادته إلى أمه ، من جراء ما حكي لها....

وفي قوله : (هذا حظُّ الشيطان منك) أي لو بقيت تلك العَلقة ،

فهي مادة الوسوس والمعاصي ، ولكنهم أزالوها ، وفيه دليل على خطر الشيطان وضرورة التباعد عنه وعن خطواته .

وفيه أيضًا تنبيهٌ لأمتهم إنما يخلصون من أن حظَّ الشيطان

وتسلطه عليهم ، بأن يغسلوا بيد الشرع مواضع آثار وسوسه ،

فإذا عرَّض الشيطان لأحدهم بوسواس ، أزال نجاسة الشيطان

من قلبه بالطاهر من ماء الشريعة ، وذلك باتباع الهدي ، وحسنِ

العمل ، ودوام الذكر والاستعاذة ، وقهره بالعلم وبالطاعات

المباركات...!

وفي غسله بماءٍ زمزمٍ دليلٌ على فضل هذا الماء ، وما جعله الله فيه
من بركة وطهارة ، وقد صح حديث (طعامٌ طعم ، وشفاء سقم)
و (زمزمٌ لما شرب له) .

فاللهم طهّر قلوبنا ، واستر عيوبنا، وتوفنا وأنت راضٍ عنا...
وصلوا وسلّموا يا مسلمون على البشير النذير، والسراج
المنير...

٣ / العالم قبل البعثة :

حمداً لله على ما امتنَّ به من عظيم النعم، ودفع عنا كبير النقم، ..
أسبغ الخيرات ، ودحض البليات ، نحمده ونشكره ، ومن كل ذنب
نستغفره ...

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده

ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين....

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ

أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا

عَظِيمًا) .

أما بعد:

أَيُّهَا النَّاسُ:

تَخَيَّلُوا الْعَالَمَ .. كَيْفَ كَانَ قَبْلَ الْبَعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَالظُّلْمَاتِ الَّتِي
كَانَتْ شَائِعَةً ، وَالضَّلَالَاتِ الَّتِي عَمَّتْ وَطَمَّتْ ، وَكَيْفَ أَنَّ بَعْثَةَ
رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، كَانَتْ نُورًا وَإِخْرَاجًا ، وَهَدَايَةً
وَإِبْهَاجًا ، وَفِرْقَانًا وَحِجَابًا..!

وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ شَرِيفٌ ، يَلْخُصُّ لَنَا هَدَفَ الْبَعْثَةِ ،
وَجَوْهَرَهَا ، وَحَالَ النَّاسِ قَبْلَهَا ، وَكَيْفَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي جَاهِلِيَّةٍ
وَشَرٍّ ، وَفِي مَقْتٍ وَبَلَاءٍ...!

رَوَى مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الصَّحِيحِ : عَنْ عِيَاضِ الْمُجَاشِعِيِّ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي
خُطْبَتِهِ : (أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُم مَّا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي

يَوْمِي هَذَا ؛ كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي
حُنْفَاءَ كُلِّهِمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ،
وَحَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ
أُنزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَّتَهُمْ، عَرَبَهُمْ
وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ : إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ
وَأَبْتَلِي بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ ، تَقْرُوهُ نَائِمًا
وَيَقْظَانَ. وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ : رَبِّ، إِذَنْ يَتَلَعُوا
رَأْسِي فَيَدْعُوهُ حُبْرَةً. قَالَ : اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرِجُوكَ،
وَاعْزُهُمْ نِعْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقُ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةَ
مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مِنْ عَصَاكَ .

فتأملوا هنا جُملَه وقضاياه، ومسائله وفوائده، وأولاهها: أن من
وظايف الأنبياء التعليمُ (أعلمكم ما جهلتم).

فعلمنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودفعَ الجهلَ، وزلزلَ الخرافةَ،
وكبتَ الشبهةَ..! فهو المعلمُ الأولُ، والمربي الأوحد
(وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)
سورة البقرة .

وثانيها : أن البشرية كانت حنفاءً على التوحيد ، كما قال تعالى :
(كان الناس أمةً واحدةً). ولكن الشياطين اجتالتهم وأخذتهم
عن دينهم، وحببت لهم الضلالة، وزينت لهم الشهوات، كما
حصلَ مع قوم نوحٍ وغيرهم. قال ابنُ عباس رضي الله عنه : (كان
بين نوحٍ وآدمَ عشرةُ قرون ، كلهم على شريعة من الحق .
فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) .

وثالثها : أن سبب الشرور ومادة الضلالات الشياطين وتزيينها
لبني آدم ، وخداعهم بالشهوة والمتعة والإغراء ، وحملتهم على
أمور ذكرها الحديث : أحدها : حرّفتهم عن دينهم الحق ، وقد
يكون بوسائل شرعية خادعة ، والآخر : الشرك بالله ، وتحبيب
الأصنام ، واعتقاد أنها وسائطُ نافعةٌ إلى الله (**ما نعبدهم إلا**
ليُقربونا إلى الله زلفى).

ثم : حرّمت عليهم ما أحل الله ، من خلال الجهل والتلبس ،
وتصدير الجهلة ، والإيمان بالغرائب والشعوذة ... !
ومن فوائد الحديث : عمومُ الشرك في الأرض ، حتى إنّ الله
مقت الجميع ، وأبغضهم عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل
الكتاب ، وهم المتمسكون بدينه ، والثابتون على شرعه ، وفي ذلك

دليل على فضل الثبات، والتباعد عن الفتن ورفض كل ضلال
وتبديل، وأن الأرض لا تخلو من الأخيار، ومن القائمين لله
بحجة وبرهان. (وما بدلوا تبديلاً).

ومنها: أن من أسرار البعثة الابتلاء (ما يقال لك إلا ما قد قيل
لرسل من قبلك) (إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِي بِكَ): فهو
مبتلى بسبب ما يواجهه من صدود وإعراض، ومبتلى به آخرون إذا
كفروا وعاندوا...!

اللهم وفقنا للقرآن والسنة، واجعلنا من أهل الذكر والحكمة...
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين...

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، وصلى الله وسلم وبارك
على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.....

وبعد :

وفي حديثٍ عياضٍ أيها الكرام : كشفٌ لعظمة القرآن ، وأنه كتاب
خالد، وذكر دائم، وحجة ساطعة ، لا يمحوه ماحٍ، ولا يزيله ماءٌ
ولا أعاصير ، لأنه محفوظٌ في الصدور، وقد يسره الله ، فحفظه
الصغارُ ، وضبطه عوامُ الناس (وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ
الْمَاءُ ، تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانِ) . وما أجملَ العيشَ معه، وتعاهده كل
يوم، واستطعام لذائذه وجواهره.. (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا
مِّنْ أَمْرِنَا) سورة الشورى . لا سيما وقد يسره الله ، وجعله مقروءا
محبوبًا.

ومن فوائده: تجلية الصراع والمعركة مع قومه قريش، وبيان صدودهم وعنادهم، حتى إن الله أذن له في إحراقهم، فقال: " ربَّ إِذَا يَثْلُغُوا رَأْسِي فِيدَعُوهُ خُبْزَةً " أي: يشدخوا رأسي ويشجّوه كما يُشدخُ الخبز، أي: يُكسّر. وفي ذلك دليل على عظم بلاء الداعية .

ومن فوائده: إمداد الله له وتشجيعه على الثبات والمقاومة لهم... قال: (استخرجهم كما استخرج جوك) أي: أخرجهم.. أي كفار قريش كما أخرجهم إياك جزاء وفاقا، وإن كان بين الإخراجين بونٌ وفرق، فإن إخراجهم إياك بالباطل، وإخراجك إياهم بالحق (واغزهم نُغزك) أي: وجاهدهم، نُعِنك، وننصرك عليهم (وأنفق فسننق عليك)، أي: أنفق ما في جهدك في سبيل

الله فسَنخلف عليك ونضاعفهُ لك في الدنيا والأخرة، (وما أنفقتم من شيءٍ فهو يخلفه) . (وابعثُ جيشاً نبعثُ خمسة مثله) أي: إذا أرسلتَ جيشاً لقتال الكفار، فسُرسِلُ خمسة أمثاله من الملائكة تعين المسلمين كما فعل بيدر، وفي ذلك معجزة ظاهرة، وفضيلة لأهل الإيمان ، فقد حصلت لرسول الله ، مع قلة العدد والعدة، وحصلت للمؤمنين من بعده .. (وقاتلُ بمن أطاعك مَنْ عَصَاكَ) أي: قاتل بمن أطاعك من المسلمين من عصاك من الكافرين، حيث زكَّتْ نفوسُهُم وطابت عقيدتُهُم، وصاروا جنداً لله .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد...

٤/ راعي الغنم والمجد المنتظر:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلِّ
فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا .

أما بعد:

إخوة الإيمان:

ليس عيباً أن تُعِفَّ نَفْسَكَ وَتُحْتَرِفَ الْعَمَلَ ، وَلَيْسَ مِنَ الْعَارِ أَنْ
تَعِيشَ عَامِلًا كَادِحًا ، وَلَا تَسْأَلَ النَّاسَ ، وَتَكِدَ بِنَفْسِكَ ، وَتَمْشِيَ

في مناكب الأرض ، ...! فقد كان أنبياء الله على هذا المنوال ،
عملاً ومهنة ، وجداً وكفاحاً.. (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولاً
فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ) سورة الملك .

وها هنا سيدُ الخلق ، وخاتمُ النبيين ، والرسولُ المختار ، يمنحنا
درساً في العملِ ولقمة العيش ، ودرساً في التواضع ، ودرساً في
الاستعفاف ، ودرساً في الصبر والاحتمال ، فقد رعى الغنم في
صباه ، وشقي على الرزق ، ولم يمدَّ يده إلى أحد ...!

يقول أبو هريرة رضي الله عنه ، كما في الصحيح : عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ " . فَقَالَ
أَصْحَابُهُ : وَأَنْتَ فَقَالَ : " نَعَمْ ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ

مَكَّةَ). رعاها وما بالي بكلام الناس ، ورعاها بكل فخرٍ واعتزاز ،

ورعاها وأعف نفسه وأهله..!

وكذا المؤمنُ الصبور، المتوكلُ على ربه ، يسعى في الأرضِ
كادحًا وطالبًا ، لا ينتظر الدرهمَ تنزل عليه ، ولا الكنوزَ تلتفُّ

حول بيته، ولا الأرصدةَ تسقطُ في حسابه البنكي ...!

كلا..! بل يطلبها هو ، ويمتهنُ المهن ، ويحترفُ على نفسه،

ويضرب في الآفاق والصنائع ، سائلًا الله العون

والتوفيق... (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ) العنكبوت : ١٧ .

ومن فوائد رعيها: أن فيها توطئةً وتقدمةً في تعريفه - صلى الله

عليه وسلم - سياسة العباد، واعتبارًا بأحوال رعاة الغنم، وما

يجب على راعيها من اختيار الكلاء لها، وإيرادها أفضل مواردها، واختيار المسرح والمراح لها، وجبر كسيرها، والرفق بضعيفها، ومعرفة أعيانها وحسن تعهدها، فإذا وقف على هذه الأمور كانت مثالا لرعاية العباد، وهذه حكمة بالغة". اهـ.

وأيضاً يتحلى من يرعى الغنم بالسكينة والوقار كما في بعض الأحاديث، وهذا مما يناسب هيئة النبي، الذي يبلغ رسالة الله سبحانه وتعالى، ويرعى المؤمنين بهذه الرسالة، ويحوظهم بعنايته وعطفه؛ ولهذا رعى كلُّ الأنبياء الغنم، وكان في ذلك مع الوقار، صبرٌ واحتمال، ورعاية وارتفاق، وليس فيها ما في الإبل من شدةٍ وخيلاء.

وأيضاً في الرعي خلوةٌ وعزلة، وتباعدٌ وتفكيرٌ، بحيث يصفو الخاطر، وينشرح الصدر، ويسلم من كل ضجيج وإزعاج، وفي

ذلك تحقيق لعبادة التفكير في الكون والمخلوقات ، وهو ما لا
يحصل في كثير من المهن ...!

وأيضاً : في العناية بالحيوانات رفقاً ورحمة ، ومن لا يرحمُ لا
يُرحمُ ، فهي تليّنُ القلوب ، وتُرققُ الفعال ، وتجعل الراعي يشعرُ
بعطفه المتزايد تجاهها ... (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

اللهم آتِ نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها
ومولاها....

أقولُ قولي هذا وأستغفر اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ

وَالْمُرْسَلِينَ ...

وَبَعْدُ :

وَقَدْ حَصَلَ لَهُ رَعْيُ الْغَنَمِ يَا كِرَامَ : وَهُوَ فِي الصَّبَا ، وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ

عَلَى حَسَنِ تَرْبِيَةِ الْغَلَامِ عَلَى الْجَدِّ وَالْمَثَابِرَةِ ، فَتَرْسُخٌ مَعَهُ عَقِيدَةُ

الْعَصَامِيَّةِ وَعَدْمُ الْاِتِّكَالِ عَلَى الْآخِرِينَ .

وَفِي أَجْوَاءِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ يَحْتَمِلُ الْحَرَارَةَ وَشِظْفَ الْعَيْشِ ،

وَيَجْرِي بِهَا فِي الْقَفَارِ ، وَقَدْ يَتِيهِ وَقْتًا ، وَلَكِنَّهُ يَكْتَسِبُ صِفَاتَ فِي

الشَّخْصِيَّةِ مَا لَا يَكْتَسِبُهُ الْآخَرُونَ .. ! فَيَتْرَبِي عَلَى الصَّبْرِ

وَالشَّجَاعَةِ وَالْوَحْدَةِ ، وَحُسْنِ السِّيَاسَةِ وَالْإِدَارَةِ ، فَقَدْ كَانَ يَهْيِئُ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَرْتَبَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَمَجْدٍ مَرْتَقِبٍ ، تَكُونُ مَهْمَتُهُ

حِينَهَا هِدَايَةَ النَّاسِ ، وَتَرْكِيَةَ نَفُوسِهِمْ .

وهذه المهنة يُحسنها الصغيرُ من أول التمييز، ويتقنها خلفا لبعض المهن الأخرى، فيَحْمَلُ مسؤوليةً، ويكلفُ أمانةً، وفي ذلك دليلٌ على غرس القيم العملية من مقتبلِ العمر، خلافاً لمن يستصغرُ الأطفال، ويعمل على دلالهم الزائد، والله الموفق .

وفي قوله (كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة) إشارةً إلى المكان أو قيمة الأجر، وهو الجزء من الدرهم، وفي هذا دليل على طلب الكسب وأن خيرَ الكسب ما كان من عمل المرء بيده، ويروى " قيل يا رسولَ الله أيُّ الكسبِ أطيبُ قال : عملُ الرَّجُلِ بيده، وكلُّ بيعٍ مبرورٍ " .

وصلوا وسلّموا عباد الله على الرسول الأعظم، والنبى الأكرم....

٥/ نزول الوحي والحدث الأعظم :

الحمدُ لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات ، والحمدُ الذي أكرمنا

بالآيات البينات، نحمده على إحسانه ، ونشكره على

فضله وامتثانه..

ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريك له، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدهُ

ورسوله ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا....

أما بعد :

أيها الناس:

في ذلك اليومِ العظيم ، سطعَ النورُ ، وأضاء الكونُ، وتزينت

الحياةُ ، وولدت البشريةُ من جديد...!

لقد نزل الوحي ، وشعت أنوارُ الرسالة ، وهطلت معاني القرآن ،
لُتُخْرِجَنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ... واستمع إلى القصة الرائعة ،
تقصها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

تقول: " أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ
الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ
مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ - أي جلية - ، ثُمَّ حُبَّ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ - أي الخلوة
- وَكَانَ يَخْلُو بِنَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي
ذَوَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى
خَدِجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ،
فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ : اقْرَأْ. قَالَ : " مَا أَنَا بِقَارِئٍ " . قَالَ : "
فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : اقْرَأْ.

قُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِيٍّ . فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ،
ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : اقْرَأْ . فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِيٍّ . فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي
الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } { خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ } { اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ } " . فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ
خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَقَالَ : " زَمَّلُونِي ، زَمَّلُونِي " . فَزَمَّلُوهُ
حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ - وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ - : "
لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي " . فَقَالَتْ خَدِيجَةُ : كَلَّا وَاللَّهِ ، مَا يُخْزِيكَ
اللَّهُ أَبَدًا ؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ،
وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ، فَاِنْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ
حَتَّى آتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ

خَدِجَةَ، وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرَفِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ
الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ،
وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمِعْ
مِنْ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا
النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا، لَيْتَنِي
أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: "أَوْمُخْرِجِي هُمْ؟" قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ
مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا،
ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوَفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيَ.

بُشِّرِي مِنَ الْغَيْبِ أَلْقَتَ فِي فَمِ الْغَارِ *** وَحَيًّا وَأَفْضَتَ إِلَى الدُّنْيَا بِأَسْرَارِ
بُشِّرِي النَّبُوَّةَ طَافَتْ كَالشِّذَا سَحْرًا *** وَأَعْلَنْتَ فِي الرِّبَا مِيلَادَ أَنْوَارِ
تَدَافَعُ الْفَجْرُ فِي الدُّنْيَا يَزْفُ إِلَى *** تَارِيخِهَا فَجَرَ أَجْيَالٍ وَأَدَهَارِ



هذه هي قصة نزول الوحي يا مسلمون ، وإعلان ميلاد النبوة التي
جاءت لاستنقاذ الناس ، وهداية العالم ، وتبصير الوجود ... (اقرأ

بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ..)

وقد كان صلى الله عليه وسلم ، يُعده الله تعالى ، بذلك التعبّد
والتفكير ، والخلوة الإيمانية ، شهرًا كل سنة ، قيل رمضان ، حتى
جاءه المقدر والموعود المحدد ، فجاءت هذه الآيات الكريمة
من سورة العلق ، داعيةً إلى العلم والاستنارة .

وفي القصة فوائد ودروس من أشهرها :

أولاً : فضلُ رسول الله واختيارُ الله تعالى له ، وقد صنَّعه تحت

عينه، ليكونَ لهذه المَهمة الجليلة، والشرفِ العظيم .

وثانيًا: دورُ المرأة الصالحة المثبِّتة لزوجها، والداعمة له في

شؤونه وأشغاله... (كلا لا يُخزيك الله أبداً)....

وثالثًا: حُسنُ خصاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وما اتصف به قبل

البعثة من روائع الأخلاق ، التي وطَّدت لقبوله ومحبة الناس له،

بحيث لا يشككون في صدقه وأمانته (وإنك لعلی خلق عظيم) .

وأنَّ هذه الخصال سببٌ في اندفاع المكاره .

ورابعًا: أن في ضمة الملك وغطته، إيناسًا له، وتقويةً لِنَفْسِهِ،

وتنشيطًا لِقَلْبِهِ، على تلقي الوحي الإلهيِّ، ثمَّ أطلقه بعد ذلك .

وخامسًا: فضل الرجوع لاهل العلم والخبرة بالقضايا الكبرى
والخطيرة ، كما صنعت خديجة مع ابن عمها ورقة بن نوفل ،
وتصديقه بذلك ، وأنه الناموس الذي نزله الله تعالى على
موسى... (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) سورة
الأحقاف .

اللهم وفقنا للخيرات ، وجنبنا الغفلة والحسرات... .

أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين... .

الحمد لله حمداً كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، وصلى الله
وسلم على عبده محمد تسليماً كثيراً...

أما بعد:

أيها الإخوة الفضلاء:

تفهموا قول ورقة لرسول الله .. (يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا ، لَيْتَنِي أَكُونُ
حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "
أَوْمُخْرَجِي هُمْ ؟ " قَالَ : نَعَمْ ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ
إِلَّا عُودِي ، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا) .

فيها دروس وعبر منها :

إيمانه بالدعوة الجديدة وتمنيه مناصرتها وأن يكون شاباً جدعا ،
يدافع عنها ويدفع بكل طاقة وقوة ..

وكذلك : تحذيره لرسول الله ، وتنبهه لما سيلاقه من الابتلاء ،

وأنّ ذلك من سنن الأنبياء والدعوات، عبر التاريخ، لأن الأمم لا

تحب أن تغير أديانها وتتعصب لتراثها القديم...!!

وأيضاً: وأن فترة الشباب هي الفترة القادرة على العمل والجهد

والتعاطي ، فلتستثمر في طاعة الله، وفي نصرته دينه، وفي الذبّ عن

الصالحين ، (وعن شبابه فيما أبلاه)...؟!

وقد دلت القصة على أنّ العبادة الحقة إنما هي للإله الحق الذي

خلق الإنسان من علق ، وعلمه بالقلم، فهو الرب الأكرم ، والإله

الأعظم المستحق للعبودية ..!

والعلقُ قال العلماء: هو الدم المتجمد ، وهي طور من أطوار

خلق الإنسان المذكور في القرآن في غير موضع ، فمن الذي

ثَنِيَّاتُ الْوَدَاعِ

(خطب في السيرة النبوية)

يستحق العبادَة حينها.. وقد تبين لكم عظيم خلق الله، فتبارك اللهُ

أحسن الخالقين .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد...

١٦ من الحكمة الدعوية:

الحمدُ لله ، الذي كَرَّمَ بني آدمَ بالعقول والبصائر ، وجعلَ فيها
الحكمةَ والمنائر ، وهداها مواعظَ الذكرِ والمزاهر... نحمده
سبحانه ونشكره ، ومن كل ذنبٍ نستغفره ...
وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ
ورسوله ، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين ...
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).

أما بعد :

معاشرَ المسلمين :

لقد عانى نبيُّنا صلَّى اللهُ عليه وسلم إبانَ الدعوةِ المكية ، فكذَّبه
قومه ، وسخروا منه بشدة ، وآذوه ونالوا من أصحابه... فصبرَ

واحتسب، ووعد أتباعه النصرَ والتمكين ، إن هم صبروا
وتحملوا...!

وكان حكيماً في خطاباته ومسالكه ، يدعو بالحُسنَى ، ويتكلمُ
بالفضلى ، ومما يدلُّ على ذلك، قصةُ إسلام عمرو بن عبَّسة
رضي الله عنه، وهي مرويةٌ في صحيح مسلم رحمه الله ، فلقد
تحركت فطرته السليمة للبحث عن الدينِ الحق، ولم يُطق
ضلالاتِ القوم :

كيفَ الحجارةُ يُصغي عندها القومُ * * * أما لهم حجةٌ والعقلُ مضيومٌ

تجمعوا حولها كالذود وانتشروا * * * ولا يبالون والمدعوُ مكلومٌ

يقول عمرو بن عبَّسة السلميُّ : " كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ

النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيَسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ

الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا جُرَاءَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّطْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: "أَنَا نَبِيٌّ". فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: "أُرْسَلَنِي اللَّهُ". فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أُرْسَلْتَ؟ قَالَ: "أُرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوحِّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ". قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: "حُرٌّ وَعَبْدٌ". قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ. فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ. قَالَ: "إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا؛ أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ؟ وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ، فَأْتِنِي". قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي، وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي، فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ
حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ
الْمَدِينَةَ. فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا:
النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ، وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ
الْمَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: "
نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ؟ ". قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى. فَقُلْتُ: يَا
نَبِيَّ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ.
قَالَ: " صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ
الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ؛... الحديث .

فتأمل هنا وتعلّم: الحكمة في الدعوة، وجده مستخفياً، مبتعداً
عن المواجهات الشديدة مع المشركين، وهذا أولاً....

وثانياً : ولما سأله ، وكان غريباً ... من معك على هذا الأمر ... ،

قال : حرٌّ وعبد، أي مجموعات من الناس ، ولكنه لم يفصح

عنهم وأبهمهم ، حفاظاً على الدعوة، ورجالاتها ومستقبلها .

وثالثاً: قال: إني متبِعُكَ، فقال عليه الصلاة والسلام : إنك لن

تستطيعَ يومَكَ هذا !..

ورابعاً: كشفَ له المرحلة الدعوية وخطورتها وهو غريب .. (**ألا**

تري حالي وحال الناس) والحالةُ كانت اضطهاداً وتنكيلاً ،

وتربصاً بالذين آمنوا من مكة وخارجها...!!

وخامساً: أشارَ بالعملِ الدعوي الحكيم ، أن ترجعَ إلى قومك،

فإذا سمعت بظهوري فاقدم علي...!!

فتنجو بنفسك ، وتكون رسولا تخبر هنا ، وعن دعوتنا...!

وما يضيرك أن تكون بريداً إلى قومك ، وتحديثهم عن الإسلام
وجمالياته ، بدلا من أن تكون غريبا عند أناسٍ بطشوا بأقاربهم
فضلا عن الأجانب البعداء....!

وتحارب التشوية الكلامي للدعوة ، وما تزعمه قريش من
أكاذيب... !

ولذلك كانت الحكمة الدعوية حاضرةً في هذه القصة الجميلة،
لأنَّ الوضعَ خَطِرًا، وقومُه جريئون عليه ، باطشون بأصحابه (وَمَا
نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) سورة البروج .

وهو مع حبه للدعوة ، وصَلَ إلى رسول الله متلطفًا ، غيرَ مظهرٍ
لحالهِ ، وقد أصاب الحكمة في دخوله ، وكذلك قلده رسولُ الله
عليه الصلاة والسلام الحكمة في خروجه ، وأن المكان لا يحتملُ
شخصيات غريبة، يمكن أن يُنال منها، ويلحقها أذى ، وقد

نتضررُ نحن من خلالها... (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً
كثيراً) سورة البقرة .

والحكمة هي الفقه في القرآن . وقال بعضهم : الإصابة في القول
والفعل ، وقيل هي : الحكمة العقل في الدين .

اللهم أعطينا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تُهنا، وتوفنا وأنت راضٍ
عنا يا كريم ..

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين،
فاستغفروه فيا فوزَ المستغفرين التائبين

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ،
وعلى آله وصحبه أجمعين ...

وبعد :

تحتاج الدعوةُ يا مسلمون : حكمةً كحكمةِ رسول الله صلى الله
عليه وسلم، قولاً وعملاً وسلوكاً ، فلا تواجهه مع ضعف، ولا
تتحمس في اضطهاد، ولا تقاتل مع استضعاف ، وتوازن الأمور
وتعتدل ، ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه ..

وتعرف الحكمةُ بأنها (فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي ،
في الوقت الذي ينبغي) .

ويقول الشيخ ابن سعدي - رحمه الله - في تفسير : " ادع إلى سبيل
ربك بالحكمة) أي كلُّ أحدٍ على حسب حاله وفهمه، وقبوله
وانقياده، ومن الحكمة، الدعوةُ بالعلم لا بالجهل، والبدأةُ بالأهم

فالأهم، وبالأقربِ إلى الأذهان والفهم، وبما يكونُ قبولُهُ أتم،
وبالرفق واللين،... " اهـ.

ثم انظر خطابه الدعوي العظيم القائم على توحيدِ الله ، ونبذِ
الأوثان ، وصلِّة الأرحام ، الذي شرح به النبوة وغاياتها ، ثم لما
التقاه بعد مدة عرفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما أنكره ، وهذه هي
النباهة القيادية... " أَتَعْرِفُنِي ؟ قَالَ : " نَعَمْ ، أَنْتَ الَّذِي لَقَيْتَنِي
بِمَكَّةَ ؟ " . قَالَ : فَقُلْتُ : بَلَى . فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، أَخْبِرْنِي عَمَّا
عَلَّمَكَ اللهُ وَأَجْهَلُهُ ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ .. "

وعلمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوقات الصلاة ، وصفة الوضوء
وفضله.

وصلوا وسلّموا يا مسلمون على الرحمة المهداة، والنعمة
المسددة...

٧/ المصلي وسلا الجزور:

الحمدُ لله أكرمنا بدينه، وشرَّفنا بطاعته، ورفعنا بهدائته، نحمده على
منه، ونشكره على سننه، بسطَ الأفضال، ونشرَ الآمال، وحقَّق لنا
كلَّ طلبٍ ومنال....

أشهدُ ان لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبده
ورسوله، صلى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.....
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ)

أما بعد:

إخوة الإسلام:

بعضُ الناس يتضايقُ من سُخريةٍ وقعت عليه، أو استهزاءٍ كدَّر
خاطرَه، أو تطاولٍ أساءَ لمظهره....!

وتناسى ما لقي المرسلون من بلايا وأذيات ،! .
ومنهم رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تعرضَ للسخرية ، وذاقَ
مرارة الاستهزاء ، وهموا به ، وخُنق ذاتَ مرة، وألقوا عليه سلا
الجَزور ، وهي المشيمةُ المستقدرةُ عند الناس.....!!
فهل أَلقيت عليكِ وأنتِ تصلي، أو صبّوا على ظهرِك كوباً من
الماء...؟! .

جاء في الصحيحين : عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال :
إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ ، وَأَبُو جَهْلٍ
وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَا
جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ ، فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ ؟ فَانْبَعَثَ
أَشَقَى الْقَوْمِ ، - أي عقبة بن أبي معيط - فَجَاءَ بِهِ فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ

النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا
أَنْظُرُ لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ -أي قوة-، قَالَ : فَجَعَلُوا
يَضْحَكُونَ، وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ فَطَرَحَتْ عَنْ
ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،
فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ : وَكَانُوا يَرُونَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ
الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَى : " اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ
بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بِنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بِنِ عُتْبَةَ، وَأُمِّيَّةَ بِنِ خَلْفٍ،
وَعُقْبَةَ بِنِ أَبِي مُعَيْطٍ " . وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ، قَالَ : فَوَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
صَرَغَى فِي الْقَلِيبِ ، قَلِيبِ بَدْرٍ .

فهذه يا مسلمون : صورةٌ من صور الأذى الدعوي ، الذي تعرض له عليه الصلاة والسلام ونستفيدُ هنا ما يلي :

أولاً: أنّ ذلك هو طريقُ الدعوة والمصلحين ، فلا بد أن توطّنوا

نفوسكم على ذلك، فالابتلاءُ سنةُ الحياة ، وحليّةُ الأنبياء

والدعاة، ومفرزةُ الطريق ، ومحصُّ السبيل (أم حسبتم أن

تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم

الصابرين) . وبالابتلاءِ يُكشفُ الصبرُ، ويُحصُّ العبدُ، وتُرفعُ

درجته، وتعلو روحه، ويخنسُ عدوه، وتزيدُ محبته في قلوب

الخلائق .

وثانيًا: نتعلم صبرَ رسول الله على قومه، فهو قدوتنا في الشدائد،
وأسوتنا في المواقف، نأتسي بهديه، ونقبس من طريقته (لقد
كان لكم في رسول الله أسوةً حسنة) .

وثالثًا: تفنن الأعداء وحقدهم الدفين على الدعوة وأصحابها،
وسخريتهم اللاذعة في ذلك، وانعدام مروءتهم عند فساد
مسالكهم، وكان الذي وضع سلا الجزور أشقاهم وأخبثهم
عقبه بن أبي مُعيط، وقد قُتل عقب بدر .

ورابعًا: أن الدعوة لا بد لها من قوة ومنعة، وما كان لمشركي مكة
أن ينالوا من رسول الله إلا لقلّة الأتباع، وضعف الجنود، ولذلك
لم يستطع ابن مسعود إنقاذه .

وخامسا: جوازُ الدعاءِ على المعتدين والظالمين جِراءِ صنيعِهِم ،
وأن العبدَ مخيرٌ ما بين العفوِ أو الدعاءِ ، ولكنَّ رسولَ الله قد
أعذَرَ إليهم ، واشتدَّ أذاهم ، فدعا عليهم وسَمَّاهم بأسمائِهِم ..
(اللهم عليك بقريش) ثلاثاً...

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها
ومولاها...

أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً ، طيباً مباركاً فيه ، وصلى اللهُ وسلم على
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين....

وبعد :

أيها الإخوة الكرام :

هذا شيءٌ مما لقيه رسولُ الله ، وصبر على ذلك ، ومن صبره
العظيم ، أنه ثبتَ على طريقته ، وبقي مصلياً حتى جاءت ابنته
فاطمة رضي الله عنها فرفعت القدر ، وسبّتهم....!

ثم لما دعا عليهم ، خافوا دعوتَه ، وكانوا يرون استجابتها في البلد
الحرام ، ولكن لانحرافهم يُصرون على عنادهم ، ولا يرتدعون
ديناً ، ولا أخلاقاً..!

وهذا فيه تناقضٌ، تحاربون دينه ، وتخافون دعاءه...؟! إنَّ هذا

لشيءٌ عَجَابٌ...!

وقد استجابَ اللهُ تعالى دعاءَ رسوله، فالتقى بهم في غروة بدر

الكبرى ، فكُبرت عليهم، وكسرَ اللهُ قوتهم ، وأزهد عنادهم،

وهلكَ سادُّتهم ، فرآهم ابنُ مسعود رضي الله هلكى في بئر بدر ،

حيث المعركة العظيمة، ويوم الفرقان ، والخصمان المتضادان في

المنهج والديانة ، والحمدُ لله أولاً وآخراً.

اللهم صل على محمدٍ وعلى آل محمد

٨/ لا تحزن إن الله معنا:

الحمد لله رب العالمين ، ولي الصالحين ، ونصير المؤمنين ، وخالق

الخلق أجمعين ، وقيوم السموات والأرضين ، نحمده على آلاء

جسيمة، ونعم مُسبِغة ، وخيراتٍ مُفرحة....

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده

ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، وسلّم تسليمًا مزيدًا...

أما بعد:

معاشرَ المسلمين :

تمرُّ على الناس أحداثٌ محزنةٌ، وبلايا شديدة، تزلزلهم ، وتهدُّ

كيانهم، ولكن المؤمنين يقابلونها بالإيمان ، ويجابهونها بالصبر

، وهم متوكلون على خالقهم ورازقهم وحافظهم... (ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين).

وانظر هنا في السيرة النبوية إلى لحظة ابتلاءٍ شديدة، وساعةٍ كربٍ داهمة، وموقفٍ عصيب، لا يطيقه كثيرٌ منا...!

ومع ذلك تلقاهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، بصدرٍ رحيب، ويقينٍ عميق، وثقةٍ عجيبة...!

جاء في الصحيحين، وفي قصة الهجرة المشهورة عن أبي بكرٍ رضي الله عنه، قال: **قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا فِي**

الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: " مَا ظَنُّكَ

يَا أَبَا بَكْرٍ بَأْتَيْنِ اللهُ تَالِثَهُمَا؟ " وفي القرآن (لا تحزن إن الله

معنا).

صحبة مهاجرة، فارةً بدينها يأتيها الخطرُ من كل مكان، والجوائز تُرصدُ لمن يعثرُ عليهم، ومع ذلك، يعلمنا صلى الله عليه وسلم درسَ التوكل وحسن الاعتماد على الله، وأنَّ الأمر بيد الله، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، له الحكم وإليه ترجعون...! ما ظنك باثنين الله ثالثهم " فهو معهم بحفظه ورعايته ...

وما ظنُّك باثنين، قد توكل الله أمرهم، وحفظ شأنهم، وأخذ العيونَ عنهم...!

نعم دنا منهم العدو، وداهمهم الموت، ولكنَّ حفظَ الله أعظم، وحراسته أشد، ولذلك عبَّر صلى الله عليه وسلم عن كمالِ يقينه، وعظم ثقته في ربه، ونصره لعباده.... (إنَّ الله يدافعُ عن

الذين آمنوا)...

وتجمّعت حولهم الفرسان ، واشتدَّ الطلب، وأعلنوا في كل
مكان، ووُضعت الاغراءات ، ومع ذلك، يسلي صاحبه ... لا
تخف.... ولا تحزن، ... فاللهُ معنا يرعانا ويحفظنا... (فالله

خيرٌ حافظاً وهو أرحمُ الراحمين)...!

ولن يكونَ هنالكَ أُغْيَرُ من الله على عباده وحرَمَاتِهِمْ ، ولن تجد
أمنعَ منه قوَّةً وقُدرة... إنه كانَ عليمًا قديرًا...!

وماذا صنعت مكة، وكيف قوتُها، وأينَ بطُشُها وعدُدُها... كله
تلاشى ، وبقيَ هباءً منثورًا... (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) سورة الفتح .

وقد أشار القرآنُ إلى ذلك في قوله تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ

اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ

لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: ٤٠].

فَلِمَ الْحُزْنَ وَالرَّعَايَةَ مِنَ اللَّهِ، وَلِمَ الْخَوْفُ وَرَبْنَا الْحَافِظُ..؟! ولم

الْيَأْسُ وَمَقَالِيدُ كُلِّ شَيْءٍ بِيَدِهِ، وَنَوَاصِي الْعِبَادِ إِلَيْهِ..؟!!

فهل لنا يا مسلمون: أن نتعلمَ مثلَ هذه المعاني الإيمانية البالغة

...؟! يقينٌ لم يهتز، وتوكل لم يتضعع، وثقة بالنجاة لم

تضطرب، وهدوء لم تكدره المخاطر... (ومن يتوكل على الله

فهو حسبه، إن الله بالغ أمره سيجعل الله لكل شيءٍ قدرًا) أي: في

أمر دينه ودنياه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه، ودفع ما

يضره، ويثق به في تسهيل ذلك { فَهُوَ حَسْبُهُ } أي: كافيهِ الأمر

الذي توكل عليه به، وإذا كان الأمر في كفالة الغني القوي العزيز

الرحيم، فهو أقرب إلى العبد من كل شيء ..

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: " ولو توكل العبد على الله حق

توكله في إزالة جبل من مكانه ، وكان مأموراً بإزالته لأزاله " .

قال أيضاً رحمه الله: " والتوكلُ جامعٌ لمقام التفويض

والاستعانة والرضا ، لا يتصورُ وجودُ بدونها " .

اللهم اقسم لنا من طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما

تهون به علينا مصيبات الدنيا، إنك على كل شيء قدير....

أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين ...

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ النَّبِيِّينَ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.....

وبعد :

أيها الإخوة الكرام :

لو لم يكن من دروس الهجرة إلا درسُ التوكل واليقين لكفانا
وانتفعنا..! لأننا صرنا في زمانٍ تراجع فيه اليقين، وضعفَ
التوكل..!

يقول ابنُ عباس رضي الله عنه : " التوكل : هو الثقةُ بالله،
وصدقُ التوكل أن تثق في الله وفيما عند الله، فإنه أعظم وأبقى مما
لديك في دنياك " .

وقال الحسنُ رحمه الله : " إن من توكل العبد أن يكون الله هو ثقته " .

وقال الإمامُ أحمد رحمه الله : " هو قطعُ الاستشراق بالإياس من الخلق، وقال: وجملَةُ التوكل تفويضُ الأمر إلى الله - جل ثناؤه - والثقة به " .

وقال لقمان لابنه رحمه الله : " يا بني ، الدنيا بحرٌ غرق فيه أناسٌ كثير ، فإن استطعتَ أن تكونَ سفينتك فيها الإيمانُ بالله ، وحشوها العملُ بطاعة الله عز وجل ، وشرعها التوكلُ على الله ؛ لعلك تنجو " .

وهنا صلى الله عليه وسلم بذلَّ وسعَه اعتمادًا وأسبابًا، فقد اعتمدَ على ربه، وقطعَ تعلقه بالبشر ، وخرجَ من مكة ليلاً فاراً بدينه، واحتجبَ في الغار، وخالفَ الطريق، واستقر في جوف الغار ذاكرًا

ومطمئناً بموعد الله... (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) سورة
الروم .

ومن دروس هذا الحديث :جوازُ الفرار بالدين ، والبحثُ عن
مكانٍ آمنٍ ، ومنطقة مناسبة لإقامة الشعائر ، وارتياح المسلم في
دينه وأهله وماله.. (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا)
سورة النساء .

وليكن مثلُ هذا النص النبوي الجليل سلواناً لنا في أحزاننا ،
وسراجاً لنا في مشكلاتنا، وأنَّ الله مع كل مؤمنٍ متوكلٍ صادقٍ ،
فالتوكلُ جِماعُ الإيمان... (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)
سورة المائدة .

وصلوا وسلّموا يا مسلمون على البشير النذير، والمتوكل
البصير، من كان سراجاً منيراً ، وبرهاناً مبيناً،.. نبينا محمداً،،،..

٩ / البيعةُ المصيريةُ ووفاءُ الأبطال:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ
أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلَّهُ
فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا .

أما بعد:

إخوة الإيمان:

نحنُ اليومَ في موعدٍ مع البيعةِ المصيريةِ ، وبيعةِ الموتِ ، واللقاءِ
الحاسمِ ، ومقدمةِ التمكينِ ، التي كانت فرجًا للإسلام ولرسول

الله ، وفتحت لأتباعه نوافذ النور ، حتى قيض الله لهم بلدًا مكينا ،
حينما كبرت مكة، وهياً جنوداً حينما قل الناصر، وجلب لهم
معايش ، حينما ضاقت عليهم المعاش...!

ولنستمع الى أحد شهودها وهو يحكي لنا ذلك اللقاء المهيّب ،
يقول

جَابِرُ بنِ عَبْدِاللهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : مَكَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ،

وَمَجَنَّةً، وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمَنَى، يَقُولُ : " مَنْ يُؤْوِينِي ؟ مَنْ يَنْصُرُنِي

؟ حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَلَهُ الْجَنَّةُ " . حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنْ

الْيَمَنِ أَوْ مِنْ مِصْرَ كَذَا قَالَ - فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ فَيَقُولُونَ : اِحْذَرْ غُلَامَ

قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنُكَ، وَيَمْشِي بَيْنَ رِجَالِهِمْ، وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ

بِالْأَصَابِعِ، حَتَّى بَعَثَنَا اللَّهُ لَهُ مِنْ يَشْرِبَ فَأَوْيِنَاهُ وَصَدَّقْنَاهُ، فَيَخْرُجُ
الرَّجُلُ مِنَّا فَيُؤْمِنُ بِهِ، وَيُقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيُنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ، فَيَسْلِمُونَ
بِإِسْلَامِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ، ثُمَّ اتَّمَرُوا جَمِيعًا، فَقُلْنَا : حَتَّى مَتَى
نَتْرُكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ
؟ فَرَحَلَ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلًا حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ،
فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ، فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ حَتَّى
تَوَافَيْنَا، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَامَ نُبَايَعُكَ ؟ قَالَ : " تُبَايَعُونِي
عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ
وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا
فِي اللَّهِ لَا تَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمًا، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي فَتَمْنَعُونِي

إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ، مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ،
وَلَكُمْ الْجَنَّةُ". قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعَنَاهُ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ
زُرَّارَةَ وَهُوَ مِنْ أَصْغَرِهِمْ، فَقَالَ: رُؤَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، فَإِنَّا لَمْ
نَضْرِبْ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، وَأَنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ،
وَأَنَّ تَعْضَكُمْ السُّيُوفُ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ،
وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ جُبَيْنَةَ، -أي
جبنا - فَبَيَّنُّوا ذَلِكَ فَهُوَ أَعْذَرُ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ، قَالُوا: أَمِطْ عَنَّا يَا
أَسْعَدُ، فَوَاللَّهِ، لَا نَدْعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا، وَلَا نَسْلِيهَا أَبَدًا، قَالَ: فَقُمْنَا
إِلَيْهِ فَبَايَعَنَاهُ فَأَخَذَ عَلَيْنَا، وَشَرَطَ، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ. رواه
أحمد في المسند وسنده صحيح .

وهنا نقفُ وقفاتٍ مع شيءٍ من هذه المعاني المهمة :

فأولاً: مُكُّثُهُ في مكةَ عشرَ سنين، ولم يحقق هدفه المنشود، وما آمن معه إلا قليل، فلم ييأس ولم يملَّ، أو يهجر الدعوة، بل فكَّر في البديل، وفي الفئة الداعمة والمناصرة، وأرضُ الله واسعة.

ثانياً: أنَّ الداعية لا ينتظر الأنصار يأتون إليه، ولكنه يبادرهم بالزيارة والعرض، وغشيان مجالسهم وأسواقهم، كما صنع عليه الصلاة والسلام.

وثالثاً: احتياجُ الدعوة للمكان الآمن، والنصرة الصادقة، التي تتلقفه وتهيئ له أسبابَ النفوذ والانطلاق الدعوي.

ورابعاً: أن الآلة الإعلامية منذ القدم، لازالت تقلل أو تشوه من دور الدعاة والمصلحين.. فهم يقولون هنا: احذر غلام قريش فلقد عمد مشركو مكة إلى التشويه والتشويش على الآخرين...

ومع ذلك لم يضعف رسول الله، ولم يُفْتَّ ذلك في عضده... (ما
يقال لك الا ما قد قيل للرسول من قبلك).

وخامسا : أنَّ تعبَ رسول الله لم يذهبْ سُدى ، وصبره تكلل
بالنجاح والفرج، فقد تعرّفَ إلى أهل المدينة في الموسم،
وعرضَ عليهم الدعوة فرحبوا بها، وبايعوه بيعةً أوليةً، ثم التقوه
بعدها في اللقاء المصيري العظيم، وهو بيعةُ العقبة الثانية ، وفيها
دروسٌ عجيبة، وعظاتٌ فريدة.... (كتب الله لأغلبنَّ أنا ورسلي
إن الله قوي عزيز).

اللهم ارزقنا الفقه في دينك، ووفقنا لاتباع رسولك عليه الصلاةُ
والسلام...

أقولُ قولي هذا ، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين
فاستغفروه وتوبوا إليه....

الحمدُ لله وكفى ، وسلاماً على عباده الذين اصطفى ، وعلى
محمدٍ خيرِ رسولٍ مقتفى ، وعلى آله وصحبهِ أولي المجد
والوفا... .

وبعد :

ومن دروسِ البيعةِ العظيمةِ يا كرام : شعورُ الأتباعِ بالمسؤوليةِ
الدعويةِ.. " حَتَّى مَتَى نَتْرُكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطْرَدُ
فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ .. "

فشعروا به وقد عرفوا صدقه، واستطعموا حلاوة القرآن ، وأنه
المنهجُ الحق ، فلم يكتفوا بذلك بل هبوا لنصرته ، فالتقوه العام
المقبل في سبعين رجلاً، وبايعوه على السمع والطاعة في الكسل
والنشاط ، وعلى النصره ، ولهم الجنة !

ومنها : وعيَّهم بخطورة القضية، وأنَّ ذلك يعني مقارعة العربِ

ومفارقتهم ، وعضَّ السيوف ، والبلايا الشَّداد...!

ولكنهم كانوا على قدر المسؤولية ، وقد وفوا لله صدقًا وعملاً

والتزامًا ، ورمتهم العربُ عن قوسٍ واحدة، وقدّموا التضحيات

حتى مكَّنَ اللهُ لهذا الدين الجديد ، وعزَّبهم المصطفى

الكريم...!

فتعلموا يا مسلمون : من إيمانهم المتين، ومن صبرهم العتيد ،

ومن تضحياتهم الكبرى ، ومن وفائهم العجيب، في زمان قلَّ فيه

الوفاء...!

مَنْ سَرَّهُ كَرْمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ * * فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ

تَزِنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً أَحْلَامُهُمْ * * وَأَكْفُهُمْ خَلْفٌ مِنَ الْأَمْطَارِ

وَالْبَادِلِينَ نَفْسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ ** يَوْمَ الْهِيَاجِ وَقُبَّةِ الْجَبَّارِ



فلقد أعطانا هذا الإسلامَ كُلَّ شيءٍ ، فماذا قدمنا له..؟! وماذا

جزيناه على ما امتنَّ وتفضل...؟!!

وصلوا وسلّموا يا مسلمون على السراج المنير ، والبشير

النذير...

١٠ / أول خطاب في المدينة:

الحمدُ لله الذي انشِرتْ بذكره القلوبُ ، واستنارت بطاعته
الدروب ، غفار الذنوب ، وسّير العيوب ، نحمدُه ونشكره ، ومن كل
ذنبٍ نستغفره

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده
ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد:

أيها الناس :

احتشدت المدينة لاستقبال فارسها المنتظر ، ونبينا الموعود ،
والنور المنشود ، فلقد أنهكتهم الظلمات ، وفرقتهم الحروب ،
وعانوا مراراتِ النزاع والتسلط والجاهلية ...! فسمعوا بنبي معه

نورٌ وحق، وخيرٌ وصدق، فبادروا إلى الإيمان به، ورجوا أن
يجمعهم اللهُ به، ويؤلف بين قلوبهم...!

ووعدهم اللحاق بهم إلى ديارهم في المدينة، فخرج في يومٍ
معلوم، وقد سُدَّت عليه السبلُ في مكة، فكانوا كلَّ يومٍ في
انتظاره، مشتاقين إلى رؤيته، مندهشين من قرآنه، ومعجبين
بأخلاقه... ولكن لم يروه، ولم يشاهدوه قط، إلا بعضهم،
... والكثرةُ الكاثرة لا تعرفه إلا بذكره الطيب.. ولذلك تشوقوا
لحضوره... كيف شكله.. وخلقته... وهل هو يُشبهنا...

وها هنا يحضرُ معهم في الاحتشاد عالمٌ من علماء اليهود، يعرفُ
النبواتِ وصفاتِ أهلها، وهو عبدُ الله بن سلام رضي الله عنه قبل
إسلامه، فيقول: **لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

الْمَدِينَةَ، أَنْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمُ بِهِ أَنْ قَالَ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامًا، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَّلَامٍ " . رواه أحمدُ والترمذي .

سمعَ الناسُ بمقدمه ، فحضرُوا مُسرِعِينَ ومشتاقين ، فلما رآه تجللت عليه ملامحُ الصدق ، وسطعت منه أنوارُ النبوة ، وتبسمت فيه معالمُ الرسالة عرفتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ

كذاب .. !!

وكيف يكذبُ من ذاع صدقُه، وبانت أمانتُه ، وكيف يكذبُ من

انتشرَ قرآنُه وشاعت رسالَتُه...؟!

لو لم تكنْ فيه آيات مبينةٌ * * كانت بديهته تأتيك بالخبرِ

تضوِّعَ وجهه بالنورِ، والزهرِ ، والسمو ، فكانَ أولَ ما قال ،

وخطابَه المبدئي ، وأولى كلماته... " يا أيها الناس أفسوا

السلام، وأطعموا الطعام.. " .

سلامٌ وطعام، بهما تشيعُ المحبة، ويعمُّ الأمانُ، وتبزغُ الرحمة ،

ويتواصلُ الناس ، فلا تفرقةٌ، ولا نزاع، ولا شرورَ ولا مخاوف

!...! فبالسلام الوئام ، وبالطعام السخاءُ والتراحم...! قال

تعالى: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)

سورة الإنسان .

وفي السلامِ المبذولِ بلا تخصيصٍ بركةٌ وتحابٌ، وتعارفٌ
واطمئنانٌ، وأجورٌ بلا حسابان، وقد كان ابنُ عمرَ رضي اللهُ عنه
يذهب إلى السوقِ ليسلمَ على الناسِ ليس له فيه مصلحةٌ ولا
تجارةٌ...

ثم كان مِنْ كلماته الجميلة: (**وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ**) دعوةٌ إلى الصلة،
واستدامةُ القرابة، ونبذُ القطيعة، وهجرُ الخلافات، وتقديمُ
الفضلِ والمعروف، ورابطةُ الدينِ تزيدُ رابطةَ النسبِ قوةً
والتحاماً... (**واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام**) . فحاذروا
القطيعة، وجانبوا الترفع والاستكبار، " **فالرحمُ معلقةٌ بالعرشِ**
تَقُولُ : مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ " .

ثم ختم صلى الله عليه وسلم بحق العبد الذاتي، وزاده الباقي ،
وعلاقته المخصوصة بربه تعالى : (وصلوا بالليل والناس نيام
تدخلوا الجنة بسلام) .

وما أجملها في غفلة من الناس ، وخلوة بالمناجاة ، وتلذذا بأسرار
القيام...! فترتقي روحك إلى الله ذكراً ، ودعاءً ، وإنابة... (كانوا
قليلاً من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون) .

قربة خفية ، وطاعة زكية ، قد صفت فيها الروح ، وخشع القلب ،
وتباعد عن الرياء...! لا يعرفها إلا الواحد الأحد تبارك وتعالى .

اللهم أعنا على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك ...

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين

حمداً على الله على ما أنعم وأكرم ، وشكراً له على ما أسقى
وأطعم ، وصلى الله وسلم على النبي الأعظم ، نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين....

وبعد :

فهذه كلماته الأولى في المدينة عليه الصلاة والسلام، تدبروا
فيها.، دعوة إلى السلام الاجتماعي ، والسلام الأخلاقي والسلام
الروحي، الصلة والإطعام سلام اجتماعي ، والصلة وتعاهد
القربات سلام أخلاقي ، تفرضه الشرائع والدين ،....! وصلاة
الليل، سلام رُوحِي، تخلد فيه الروح، وتجدد نشاطها ، وتعيش
صفاءها وجمالها ، وهو تزكية نادرة ، وتهذيب رقيق... (قَدْ
أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) .

وَمَنْ وُفِّقَ لِهَذِهِ الصِّفَاتِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ، وَأُزْلِفَ إِلَى جَنَاتِ
النَّعِيمِ بِلا عَذَابٍ وَلَا حِسَابٍ، وَجَنِبَهُ اللهُ الْمَشَقَّةَ، وَوَلَّجَ النَّعِيمَ
الْمُقِيمِ سَالِمًا غَانِمًا بِلا مَتَاعٍ. وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ طَرِيقَ الْجَنَّةِ
مَيْسُورٌ، لِمَنْ يَسِرُهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَالسَّلَامُ وَالطَّعَامُ وَالصَّلَاةُ، لَيْسَتْ
مِنْ جَمَلَةِ الْمَشَاقِّ، بَلْ سُنَنٌ مَيْسُورَاتٌ، وَطَرِيقٌ مَحْبُوبَاتٌ...!
وَتَبْقَى الْمَجَاهِدَةُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ، حَيْثُ النَّوْمُ الْمُبَكَّرُ، وَصَدَقَ
الْإِرَادَةُ، وَالْإِخْلَاصُ فِيهَا.. (تَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا) سُورَةُ السَّجْدَةِ .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد...

١١ / قصة الطائف ودروسها:

إِن الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ
أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلَّهُ
فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) .

أما بعد :

إخوة الإسلام:

اليوم نحدِّثكم عن قصة الطائف ، وما أدراك ما قصة الطائف ،
... فصل من فصول الابتلاء التي خاضها صلى الله عليه وسلم ..

ورحلةٌ دعويةٌ ريانةٌ بالدرسِ والحكمة، وموقفٌ شديدٌ من أحلكِ
المواقفِ الدعوية التي أثرت في رسول الله، ولم تغب من
ذاكرته....

لما يئس من قومه أراد ولسان حاله : نجربُ قومًا آخرين،
ونلتمسُ فئةً تنصرُ دينَ الله، وتحوطه من كل الجوانب ...
وتحكيها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وهي تسأله عن
ساعاتٍ مؤلمة في حياته، وقد بلغها ما لقي في غزوة أُحد من
شدائدٍ ومتاعب...!

فتقول : " يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ
أُحُدٍ؟ فَقَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ
منهم يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى -ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ

كُلَّالٍ - أَي سَادَةِ الطَّائِفِ - فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ
وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِهِ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ
رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيْلُ،
فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رُدُّوا
عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ:
فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمْ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ
سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ
لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطَبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ،
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ
مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا " .

فتأمل هذا الحدث والحديث ... شدةً وبلاءً ، ومطاردةً وشقاءً ،
ودعوةً وعناءً...!

ولما جلس فيهم أيامًا وقد حفظت كتبُ السيرة ما جرى من
حوار مع سادتها .. فقال أحدهم: هو يمرط - أي يمزق - ثياب
الكعبة إن كان الله أرسلك.

وقال الآخر: أما وجد الله أحدا أرسله غيرك؟

وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسولا من الله كما
تقول لأنك أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت
تكذبُ على الله ما ينبغي لي أن أكلمك...؟!!

فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال
لهم - فيما ذكر لي - : "إن فعلتم ما فعلتم فاكنتموا علي".

ولما خرج سلطوا عليه سفهاءهم وصبيانهم ، وصنعوا له صفين
يمشي بينهما ، ورشقوه بالحجارة حتى أدموا عقبه ، ومعه في
الرحلة الدعوية زيد بن حارثة رضي الله عنه ..!

فتأملوا فيها يا مسلمون : يكلمهم بلطفٍ وأدب ، فيردون بالعنف
والسخف ، فيصبرُ عليه الصلاة والسلام ...

ولذلك في القصة سلوانٌ جميل ، وقدوةٌ ثابتة ، وتربيةٌ نادرة ،
وموعظةٌ خالصة ، ومثلٌ أعلى ..! وهي منهاجُ حياة ، وتطبيقٌ
عملي ، ومسيرةٌ سلوكية ...!

خليقُ بنا جميعًا تعلُّمها واقتفاؤها... (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ
اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...) سورة الأحزاب .

وَخُذْ مِنْ قِصَّةِ الطَّائِفِ صَبْرَهُ الْمُتِينَ ، وَاحْتِمَالَهُ الْأَذَى ، وَرَحْمَتَهُ
بِأُمَّتِهِ ، وَاعْتِمَادَهُ الْحِكْمَةَ الدَّعْوِيَّةَ عَلَى الدَّوَامِ .

فَاقْرَأْ تِلْكَ السَّيْرَةَ ، لِتَتَعَلَّمَ الْإِسْلَامَ عَمَلًا ، وَتَعِيشَ الدَّعْوَةَ مَعْنَى ،

وَتَعْرِفَ الْإِبْتِلَاءَ حَقِيقَةً ، وَتَفْقَهُ الدِّينَ تَطْبِيقًا ... ! فَكثيرون

يَزْعَمُونَ مَحَبَّةَ الْإِسْلَامِ ، وَلَكِنْ لَا يُطَبِّقُونَ الدَّعْوَةَ إِلَيْهِ ، وَالْعَمَلِ

بِمَقْتَضَاهُ ، وَالسَّعْيِ فِي نَفْعِ الْآخِرِينَ ... (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ

دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) سُورَةُ

فَصَلَتْ .

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لَتَقَاكَ ، وَاجْعَلْ عَمَلَنَا فِي رِضَاكَ ...

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ ...

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مَبَارَكًا فِيهِ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.....

وبعد :

أيها الإخوة الفضلاء :

وفي قصة الطائف أن الذكريات الأليمة تبقى في الذهن ، ولا يجدُ
القلبُ المؤمنُ الصبور، حرجًا من روايتها ليتعظ الآخريين .
ويُستفادُ منها ضرورةُ انتقالِ الداعية والبحثِ عن قوم عقلاء ،
يسمعون كلامه، ويفقهون حديثه .

ومنها : تغليبُه جانبَ الرفقِ على العنف، وأنَّ المواقفَ تُعالجُ
بالسَّعة والحكمة، وهو أبلغُ في التأثير والانتشار الدعوي .

ومن دروسِ القصة : اتساعُ قلبه الرحيم ، وامتلاؤه بالشفقة

الظاهرة التي رفضت فكرة الانتقام ، وقد أشارَ بها ملكُ الجبالِ ،

لا سيما وقد آذوه وسلطوا عليه صبيانهم وسفهاءهم ، ..!

وكذلك : طولُ أمله الدعوي في هدايتهم ... (**بَلْ أَرِجُو أَنْ يُخْرِجَ**

اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ..) وفي ذلك صبرٌ وانتظارٌ ، وعملٌ

ومواصلة ، ودعوةٌ وسعي ، ونبذٌ للكسل والاستعجال ، وأنّ

الهداية بيد الله ، ولستَ عليهم بمسيطر ..!

وبرغم الشدة التي حصلت له ، وخروجه من الطائف ، حتى

وصل بستانَ عنب ، فقد شرح اللهُ صدره ببعض الانتصارات ،

فهناك قدّم له عداس النصراني قطفاً من عنب ، فذكر الله

وتعجب ، ثم أسلمَ من روعة ما شاهد ، وجاءه دعمٌ معنوي آخر ،

قبل أن يصل مكة ، ألا وهو إيمانُ بعضِ الجنِ برسالته ، ففي "وادي نخلة " قرب مكة ، أقام الرسولُ صلى الله عليه وسلم أياماً ، وخلال تلك المدة بعث الله إليه نفرًا من الجن ، استمعوا إلى القرآن فأمنوا به، وقد ذكرَ الله ذلك في سورتي الأحقاف والجن (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ).

فتفقهوا وتدبروا يا مسلمون هذه القصة، وانهلوا من دروسها وعظاتها ، وإذا ألمَّ ببعضكم حادثٌ أو حزن فليتذكر ملاقي رسولِ الله ، وما عاناه دعويًا، وكيف أُوذِيَ واعتُدي عليه، ومع ذلك صبر صبرًا يدرس للأجيال، ويتعلم منه المترددون ، وأفاض

حِكْمَةٌ يَنْتَفَعُ مِنْهَا الدَّعَاةُ .. (وَمَنْ يُوْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا

كثيرا) سورة البقرة ...

اللهم صل على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ....

١٢ / دُرُوسُ الْهَجْرَةِ إِلَى الْحَبِشَةِ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَلِيِّ الصَّالِحِينَ ، وَنَصِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَالِقِ

الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ ، نَحْمَدُهُ وَنُشْكِرُهُ ، وَمَنْ كُلِّ ذَنْبٍ نَسْتَغْفِرُهُ ...

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ

وَرَسُولُهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا ...

أَمَّا بَعْدُ :

أَيُّهَا النَّاسُ :

مَا كَانَتْ الْأَرْضُ لِتَضِيقُ وَقَدْ وَسَّعَهَا اللَّهُ ، مَا كَانَتْ لِتُشْتَرَى وَقَدْ

بَاعَهَا اللَّهُ ، وَمَا كَانَتْ دَارَ أَحْزَانٍ ، وَقَدْ جَعَلَ فِيهَا أَسْبَابَ السَّعَادَةِ

وَالْفَرَجِ ... !

ولذلك لما اشتد الأذى على الصحابة في مكة ، أذن لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام في الهجرة إلى الحبشة سنة خمس من البعثة ،.. وقال : (إن فيها ملكًا لا يُظلم عنده أحد، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه) . فانطلق الناس خفيةً ، تقول أم سلمة - زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رضي الله عنها ، وهي تصف تلك الأحداث وتقلباتها: " لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ النَّجَاشِيِّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللَّهَ، لَا نُؤْذَى، وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا ؛ ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَيَّ النَّجَاشِيَّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ -أي قوين لسنين- ، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطَرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ : الْأَدَمُ ، -أي الجلود - فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، وَلَمْ

يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقًا - أَي رَجَالَاتِ الدِّينِ - إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةَ الْمَخْزُومِيَّ، وَعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَايِلِ السَّهْمِيِّ، وَأَمْرُوهُمَا أَمْرَهُمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعُوا إِلَيَّ كُلَّ بِطَرِيقٍ هَدَيْتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدَّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ سَلَوْهُ أَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجَا، فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِحَيْرِ دَارٍ، وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقٌ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالَا لِكُلِّ بِطَرِيقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ قَدْ صَبَا - أَي مَالٌ - إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سَفَهَاءُ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافٌ

قَوْمِهِمْ ؛ لِنَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ، فَتَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ
يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا، وَلَا يُكَلِّمَهُمْ، فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا
عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُمَا : نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إِلَى
النَّجَاشِيِّ، فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ
صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غُلَمَانٌ سُفَهَاءٌ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا
فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدِعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثْنَا
إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ ؛
لِنَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ
وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ، قَالَتْ : وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي
رَبِيعَةَ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلَامَهُمْ، فَقَالَتْ
بَطَارِقَةُ حَوْلَهُ : صَدَّقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا،

وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْنِهِمْ، فَأَسْلِمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا، فَلَيَّرُدَّاهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ
وَقَوْمِهِمْ. قَالَتْ : فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ، ثُمَّ قَالَ : لَا، هَيْمُ اللَّهِ إِذَنْ لَا
أُسْلِمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلَا أَكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي، وَنَزَلُوا بِلَادِي،
وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ، حَتَّى أَدْعُوهُمْ، فَأَسْأَلُهُمْ : مَا يَقُولُ
هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ ؟ فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ ؛ أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا،
وَرَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ ؛ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا،
وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي .

قَالَتْ : ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيَّ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فَدَعَاهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ ؛ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :
مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ ؟ قَالُوا : نَقُولُ : وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا، وَمَا
أَمَرْنَا بِهِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا

جَاءُوهُ، وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ،
سَأَلَهُمْ، فَقَالَ : مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا
فِي دِينِي، وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ ؟ .

قَالَتْ : فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا
الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ : نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ،
وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارِ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ
مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا،
نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ ؛ لِنُوحِّدَهُ،
وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْجِبَارَةِ،
وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ،
وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالِدِّمَاءِ . وَنَهَانَا عَنِ

الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ،
وَأَمْرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمْرَنَا بِالصَّلَاةِ،
وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ. قَالَتْ : فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْنَا،
وَأَمَّنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ
شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحَلَّلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا
قَوْمُنَا، فَعَدَّبُونَا، وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا ؛ لِيُرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ
عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا،
وَزَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا ؛ خَرَجْنَا إِلَى
بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ
لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ.

قَالَتْ : فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ : هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؟

قَالَتْ : فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : نَعَمْ . فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ : فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ .

فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ : { كهيعص } . قَالَتْ : فَبَكَى - وَاللَّهِ -

النَّجَاشِيُّ ، حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ ، حَتَّى أَخْضَلُوا

مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ : إِنَّ هَذَا

وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لِيُخْرِجَ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ - أَي مَوْضِعٍ

وَاحِدٍ - ، انْطَلَقَا ، فَوَاللَّهِ لَا أُسَلِّمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا ، وَلَا أُكَادُ . قَالَتْ أُمُّ

سَلَمَةَ : فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : وَاللَّهِ لَا نُبَسِّئُهُ

غَدًا عَيْنَهُمْ عِنْدَهُمْ ، ثُمَّ اسْتَأْصَلُ بِهِ . قَالَتْ : فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

أَبِي رَبِيعَةَ - وَكَانَ اتَّقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا : لَا تَفْعَلْ ، فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا ،

وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا . قَالَ : وَاللَّهِ لَا أُخْبِرَنَّه ، أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَبْدٌ. قَالَتْ : ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَا، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسَلْ إِلَيْهِمْ، فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ. قَالَتْ : فَأَرْسَلْ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ. قَالَتْ : وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلَهَا، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ ؟ قَالُوا : نَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيْنَا كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ.

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ : مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيْنَا : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ. قَالَتْ : فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ : مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ. فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ : وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللَّهِ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سَيَوْمٌ

بِأَرْضِي - وَالسُّيُومُ : الْأَمْنُونَ - مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ
غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، فَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي دَبْرًا ذَهَبًا، وَأَنِّي آذَيْتُ
رَجُلًا مِنْكُمْ. - وَالِدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ : الْجَبَلُ - رُدُّوا عَلَيْنِهِمَا
هَدَايَاهُمَا، فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا، فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ
عَلَيَّ مُلْكِي، فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأَطِيعَهُمْ فِيهِ،
قَالَتْ : فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْنِهِمَا مَا جَاءَ بِهِ،
وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ .."

فتأملوا يا مسلمون قصة الهجرة إلى الحبشة، وما فيها من عبرٍ
وعظات.. (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) سورة
يوسف .

اللهم انصر دينك وكتابك ، وعبادك المؤمنين ..

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي وللمسلمين ..

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى
الظَّالِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ ...

وبعد :

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَتأملوا قصة الحبشة، وانتفعوا بها .. ودققوا
في دروسها ، وانهلوا من عظاتها ، ومن ذلك :

أولاً: مشروعية الهجرة فراراً بالدين، وتعيينها أحياناً، وحسن
اختيار النبي الجغرافي والدعوي، وحسن تدبيره للأمور ؛ حيث
إن اختيار المكان كان محددًا بحكمة وعناية ، وظهرت فيه
الاستراتيجية الدعوية . وبالفعل لم يُخيب النجاشي ملك الحبشة

آنذاك ظن الرسول ؛ حيث قام برعاية المسلمين وأمنهم وأحسن إضافتهم .

وثانياً: أن العدل قيمة إنسانية حضارية عليا، جاءت بها الأديان كلها ، متى توفرت عاش الإنسان ، وأمن على دينه وماله .

ثالثاً: شدة ضراوة المشركين في التنكيل بالأقلية المستضعفة ، حتى إنهم لاحتقروهم في مكان ليس بالقرب منهم ، وليسوا فيه مصدر أذى..! ولكنه الحقد الشديد على الإسلام وأهله... (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً..).

رابعاً : التأكيد على أن البلاء سنة كونية ؛ حيث يتلى الله عباده الصالحين ليظهر قوة إيمانهم ويمصحهم ، ويكشف صبرهم

ومدى تحملهم .. (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ

الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) سورة آل عمران .

وخامسا : فضل الثبات على المبدأ ، وقوة يقين جعفر وأصحابه ،

وحسن توكلهم على الواحد الأحد ، وفيها منقبة لجعفر رضي

الله عنه وحسن خطبته وفصاحته في تجلية الحق ، وكشف حنق

مشركي مكة .

وسادسا : فضل النجاشي والملك العادل ، الذي أنصف

المستضعفين وآواهم ، ورد كيد أقاربهم المغرضين ، وقد حفظ

صلّى الله عليه وسلم هذا الجميل للنجاشي فترحم عليه وصلّى

عليه صلاة الغائب .

وسابعًا: جمالُ الخطابِ الدعوي في بيان فضائل الإسلام، وقبح ما كان في المجتمع الجاهلي من انحرافات ومساوئ أنقذكم الله منها .

وثامنًا: عِظْمُ أثر القرآن في تلاوته، من قلبٍ صادق، ليقع موقعه، ويحدث أثره في النجاشي وبطارقته وحاشيته.

وتاسعًا: تأثيرُ الهدايا المُغري على الناس ، ولكنها لا تنفذ في أصحاب المبادئ ، ولذلك تفتن لها النجاشي فردها عليهم .

وعاشرًا: حسنُ إدارة الصحابة للأزمة ووعيهم وتشاورهم في تقديم جعفر أميرًا ، ومتحدثًا عنهم، وعدم تنازعهم في ذلك ، ولذلك سحرَ القومَ بكلامه وهزمهم بخطابه ، حتى رجع رسل

قريش بالخبيبة والخذلان ، ولينصرن الله من ينصره إِنَّ اللَّهَ لَقَوِي

عزیز ...

وصلوا وسلّموا يا مسلمون على الرحمة المهداة ، والنعمة

المسداة ...

١٣ / الْمَسْلُومُونَ الْأَوَائِلُ:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلِّ
فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ،
وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ،
وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ...

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا .

معاشرَ المسلمين :

جاء الإسلام فسطعت أنواره في الحياه، وأضاءت نجومه الوجود ، واستنارَ به أناسٌ بادرُوا إليه ، وسابقُوا إلى غصونه، وقطفوا ثماره ، ومنهم من عُرف بالسابقين الأولين ، الذين ضحوا من أجله ، واحتملوا الشدة والغربة ، ومنهم فضلاءً أوضحهم ابنُ مسعود رضي الله عنه كما في المسند وهو صحيح ..

قال: " أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ؛ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةٌ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُواهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلَّا وَقَدَّ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالٌ فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، وَأَخَذُوا يَطُوفُونَ بِهِ شِعَابَ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ، أَحَدٌ " .

وهنا وقفات :

أولاً: فضل أولئك الرهط ، الذين رحبوا بهذا الدين، ورأوا فيه الحقائق السديدة ، والمعالم الرشيدة، فبادروا اليه ، وأظهروه

حَبًّا وَإِثَارًا وَإِغْرَاءً لآخرين ..! وكأنهم أيقنوا بأنه لا يجوزُ كتمانُه
أو حرمانُ البشرية من ملاذهِ وألطفهِ.

ثانيًا: وفي الإظهار شجاعةً نادرة، وقدامِ عالٍ، وابتلاءً شديد،
وجسارةً قوية، لم تخف، ولم تضطرب، وقد رأت اضطرابَ
الأصنام، وهوانَ التماثيل، وأنها من خيبةٍ إلى أخرى، ولكن لا
يفقهون، أو يتعمدون السفاهة والطيش...!!

وسيدُّهم وإمامهم رسولنا الكريم، الذي صعد الصفا، وصدحَ
بالحق، وحذرهم عذابَ الله ونقمته، وأظهر كلَّ معاني البطولة
والشجاعة.

ثالثًا: أسلمَ أبو بكرٍ رضي الله عنه وقد عرضَ عليه صلَّى اللهُ عليه
وسلمَ فما تلكأ ولا تردد، وهو صاحبه وجليسه على الدوام،

وحامل أخلاقه ودعوته أمام الناس ، ويروى قوله : (وما عرضتُ
الإسلام على أحد ، إلا كانت له كِبْوَةٌ ، إلا أبو بكر ، فإنه لم يتلَعَّمْ
في قوله) .

وكان في إسلامه دعمٌ لمسيرة الدعوة مألًا وجهداً ، وتحرك نشاطه
الدعوي ، فجاء بما يقربُ من خمسة رجال منهم : عثمانُ
وطلحة والزبير وعبد الرحمن .

رابعاً : واستبشرَ بالدعوة مستضعفون منهم : عمارُ بن ياسر رضي
الله عنه ، والذي رأى في الإسلام خلاصاً من الظلم الاجتماعي ،
وحالة الاستعباد التي كانت تغشى الموالي آنذاك ، فأمن هو وأبوه
ووالدته سمية ، وكان صلى الله عليه وسلم ، يمر بعمار وأهله

وهم يُعذَّبون، ولا يستطيع أن يدفع عنهم العذاب، فيقول: " صبرا آل ياسر؛ فإنَّ موعدكم الجنة ".

خامسا: أن الضعفاء إنما آمنوا بسبب ما رأوه في الدين الجديد من سعادة ورحمة، وتحقيقٍ للعدالة، وأنه منقذهم من الظلم والضلالات..! ومنهم أيضا: سمية بنت خُياط أم عمار، وأسلمت قديما إبانَ دار الأرقم بن أبي الأرقم، وشاركهم في ذلك صهيب الرومي، فقد أسلمَ معهم، واستطعمَ فرحةَ الإسلام الروحاني، وكتبَ اللهُ في قلوبهم الإيمانَ وأيدهم بروح منه، وصهيب هو الذي هاجر قديماً وترك ماله للمشركين، فأنزل اللهُ فيه: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاءَ مرضاةِ اللهِ).

وسمية: راودها أبو جهل اللعينُ على الإسلام ، فأبت وامتنعت

فطعنَها بالحربة فقتلها ، فكانت أولَ شهيدةٍ في الإسلام .

وسادساً: ومن هولاء الذين أُشربوا حبَّ الإيمان في قلوبهم ،

بلالُ الحبشي رضي الله عنه، المؤذن الأول ، فقد سيمَ ألواناً من

العذابات فقد كانوا يجعلون في عنقه حبلاً ، ثم يأمرون صبيانهم

أن يشتدوا به بين أخشبي مكة، فجعل بلال يقول: أحدٌ، أحدٌ»

وكذلك روي أن موالي بلال من بني جُمَح كانوا يُضجعونه على

بطنه، ويعصرونه، ويقولون له قُل دينك اللات والعزى، وكان

الذي يعذبه أميةُ بن خلف، فيخرج به إذا حميت الظهيرة،

فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة

على صدره، ثم يقول: «لا يزال على ذلك حتى يموت أو يكفر

بمحمد» ، فيأبى بلالٌ ويقول: " ربي الله، أحدٌ أحد، ولو أعلم
كلمة أحفظ لكم منها لقلْتُها" ، فمرَّ أبو بكر الصديق بهم،
فاشتراه منهم لما يسوا أن يردّوه عن دين الإسلام، فاشتراه منهم
بأربعين أوقية من فضة، كما في بعض الروايات..!

اللهم يا مقلّبَ القلوب ثبّت قلوبنا على دينك ، ويا مصرفَ
القبول صرّف قلوبنا على طاعتك ...
أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين
فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.....

الحمدُ لله ، والشكر لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، والصلاةُ
والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه...

وبعد :

أيها الإخوة الكرام :

انظروا لكرام الناس دينًا وخلقًا ، كيف ضحُّوا لله ، واحتملوا
النكال ، وجاهدوا في الله حقَّ جهاده ،...؟! في زمانٍ قلَّ فيه
النصير ، وعزَّ المعين ، وتقاصرت عنهم أسبابُ الفرج والتمكين
... ومع ذلك صبروا واحتسبوا ، وضربوا لنا أروع الأمثلة في
الثبات والصبر ، وإيثار الإسلام...

ومنهم أيضًا : المقدادُ بن الأسود الكِندي ، من السابقين الثابتين

الأولين في الإسلام .. وكان أول من عدا به فرسه في سبيل الله ،

وهاجر الهجرتين وشهدَ باقي المشاهد مع رسول الله، وكان من
الرماة المَهرة ، وشارك في فتوح الشام ومصر.

وكان ممن ابتلوا قديمًا ، وممن نُكِّلَ به، ولكنه ثبت واستعصم،
وكذلك الإيمانُ إذا خالطت بشاشته القلوب ..!

ومن دروسِ تلك الفترة : عظمُ التضحياتِ التي قدمها ذلك
الجيلُ ، وسمو معنى الإسلام في حياتهم (ولنصبرنَّ على ما
آذيتمونا) .

ومنها : إثباتُ سنة الابتلاء على الدوام، وأنها مفرزةُ الرجال ،
وكاشفةُ الأبطال .

ومنها : أهمية القوة الاجتماعية للدعوة، فقد عَصِمَ رسولُ الله وأبو بكر بقواهم الاجتماعية .. (ولولا رهطُك لرجمناك) .
وتُسلِّط على البقية لخفاء ذلك الجانب .

ومنها : جواز ملايين المشركين باللسان تقيّةً، إذ لما اشتد على بعضهم العذابُ أجابوهم لما أرادوا ، وقلوبهم لم تتغير .. لقوله تعالى : (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) . [النحل : ١٠٦] .

واستثنى ابنُ مسعود هنا ، وأشاد ببلال رضي الله عنه ، وثباته التاريخي ، الذي كان يثيرهم ويستفزهم في ساحات العذاب بقوله (أحدٌ أحد) أي : ربِّي أحدٌ، لا ربَّ لي سِواه، فلا أعبدُ ما

تعبُدونَ، ولا أُؤافِقُكم على هذه الأصنام التي أنتم لها عاكفون
وباذلون ..! ونتعلمُ هنا تفاوتَ الناس في الصبر والثبات ، وإن كان
للجميع فضلُ السبق إلى الإسلام ، فاللهم ارضَ عنهم، وألحقنا
بهم في جنات النعيم ..!

وصلوا وسلّموا يا مسلمون على النبي الأعظم ، والرسول
الأكرم ..

١٤ / من خير الهجرة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ

ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ..

والحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا...

أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده

ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا..

أما بعد:

أيها الناس :

تبقى قصة الهجرة النبوية حاضرةً في العقلية الإسلامية ، لحدثها

العظيم ، وتحولاتها الضخمة، وفرجها الكبير، حيث ولدت فيها

الأمة من جديد، ومُكِّن للمستضعفين، وحصلت النجاة والإيواء... (ألم تكن أرض الله واسعةً فتهاجروا فيها).

ولنُصغ هنا لأمنا عائشة رضي الله عنها، السيدة الفقيهة، وهي

تحكي قصة الهجرة والتخطيط لها، وبعض أحداثها، تقول:

"لَمْ أَعْقِلْ أَبَوِيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمْرُرْ عَلَيْنَا يَوْمٌ

إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرْفِي النَّهَارِ بُكْرَةً

وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتَلَيْ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا قِبَلَ أَرْضِ

الْحَبَشَةِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرَكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ - وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ

- فَقَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي

قَوْمِي، فَقَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يُخْرَجُ، وَلَا يُخْرَجُ

؛ إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي

الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ... فَذَكَرَ

الْحَدِيثَ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسْلِمِينَ: " قَدْ رَأَيْتُمْ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، أُرِيْتُ سَبْحَةَ ذَاتِ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ " - وَهُمَا حَرَّتَانِ - فَخَرَجَ مَنْ كَانَ مُهَاجِرًا قَبْلَ الْمَدِينَةِ حِينَ ذَكَرَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْضُ مَنْ كَانَ هَاجِرًا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " عَلَى رِسْلِكَ ؛ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤَدَّنَ لِي ". فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوْتَرَجُوا ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ قَالَ: " نَعَمْ ". فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِصُحْبَتِهِ، وَعَلَفَ رَا حِلَّتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ مِنْ وَرَقِ السَّمْرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. قَالَ الزُّهْرِيُّ: قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِنَا فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقْبِلًا مُتَقَنَّعًا فِي

سَاعَةً لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، إِنْ جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ لِأَمْرٍ. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ دَخَلَ لِأَبِي بَكْرٍ : " أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ "، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فَإِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ "، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَالصَّحَابَةَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " نَعَمْ "، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاِحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " بِالثَّمَنِ " . قَالَتْ : فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحْتَّ الْجِهَارِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعْتَ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ نِطَاقِهَا، فَأَوْكَتِ الْجِرَابَ ؛ فَلِذَلِكَ كَانَتْ تُسَمَّى ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ، ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ بَغَارٍ فِي جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: ثَوْرٌ فَمَكَثَا
فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ ...

وهنا وقفاتٌ وتأملاتٌ معاشرَ اهل الإسلام:

أولاً: أن الهجرةَ كان سببها البلاء الذي وقع على الصحابة ،
والشدةُ التي نالت منهم، فرحمهمُ اللهُ ، بأن فرَّج عنهم بالسفر
والبحث عن مكان آمن، والدينُ والعقيدةُ أعظمُ ما يملك
المرء...!

ثانياً: فضلُ آل أبي بكرٍ وبيتهم المؤمن الطاهر ، الذي لم يتلوث
بشيء من أسقامِ الجاهلية ، وحُسن ما تمسك به وطيبُ منزلتهِ
عند العرب من الكرم والضيافة ، ومحاسن الأخلاق والصلة،
وأنها مقدمةٌ لحب الناس وتوقيرهم ... أحسنُ إلى الناس
تستعبدُ قلوبهمُ ... فلطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ .

ثالثاً : شفقتُ رسول الله بأمته ، وحذره الدعوي ، في توخي الحكمة
وانكشاف التخطيط للهجرة ، فقد جاء ظهيرةً ومغطياً رأسه ، لئلا
يلحظه أهل مكة...!

رابعاً : عفة رسول الله وحسن خلقه في تعهده بالثمن للراحلة
المعدة للسفر .

**اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خيرٌ من زكاها ، أنت وليها
ومولاها.....**

أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين..

حَمْدًا لِلَّهِ عَلَى أَفْضَالِهِ ، وَالشُّكْرَ لَهُ عَلَى خَيْرَاتِهِ وَإِنْعَامِهِ ، وَصَلَّى
اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى خَيْرِ رُسُلِهِ وَأَوْلِيَائِهِ ، نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ وَأَصْفِيَائِهِ..

وبعد :

فَعِيشُوا عِبَادَ اللَّهِ أَحْدَاثَ الْهَجْرَةِ، وَتَأَمَّلُوهَا، ... وَكَيْفَ ابْتُلِيَ
الْمُسْلِمُونَ وَتَعَرَّضُوا لِلْإِضْطِهَادِ ، حَتَّى غَادَرُوا دِيَارَهُمْ، وَتَرَكَوْا
أَمْوَالَهُمْ، وَبَاتُوا فِي حَالَةٍ عَصِيْبَةٍ ...!
وَنَتَعَلَّمُ هُنَا حُسْنَ ثَبَاتِهِمْ وَصَبْرِهِمْ، وَنَتَعَلَّمُ كَذَلِكَ دَرَسَ الْإِبْتِلَاءِ ،
وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ مَبْتَلَى وَتِلْكَ سُنَّةُ الْحَيَاةِ ... (أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ
يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ .

وفي ذلك رفعةٌ لهم وتمحيصٌ للطريق، وزيادةٌ في درجاتهم،
وتطهيرٌ لنفوسهم والدخلاء فيهم...

ومن دروسِ الهجرة: نباهةُ أبي بكر رضي الله عنه وحسن ترتيبه
لسير الطريق وتجهيز الدواب ومشاركة أبنائه وأهله في الرحلة
وزادها وخطتها... وهذا عبءٌ كبير لا يحمله إلا أربابُ الهممِ
والعزمات...

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ ** وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا ** وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

ومنها: عظمُ الدور الذي قامت به أسماء بنت أبي بكر رضي الله
عنها التي شقت نطاقها وجعلته نصفين لها وللطعام، حتى
عرفت بذات النطاقين، قالت: "أنا والله ذاتُ النطاقين، أما

أحدهما فكنتُ أرفع به طعامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم و
طعام أبي بكر من الدواب، و أما الآخرُ فنطاقُ المرأة التي
لا تستغني عنه". وكان أخوها عبدالله يتسمعُ الأخبار ويأتي بها
إلى الغار، وكان شابًا لِقْنًا ثَقْفًا واعيًّا بالحدث والتخطيط له .

فتأمل دورَ هذه الأسرة النبيلة التاريخي ، وكيف تعاونوا في مشهدٍ
عصيب ، قلَّ من تعاون وضحى لأجله..!

ومن الدروس : أهميةُ الأخذ بالأسباب، وأن ذلك لا ينافي التوكّل
على الله والاعتماد على نصره ومدده ، كما قال في حديث الناقة:
(اعقلها وتوكل) فهم هنا توكلوا على الله إيمانًا، وتأهبوا بكل
الأسباب المادية للحفاظ والسلامة ، حتى آواهم الله إلى الغار،
ووصل المشركون اليهم ، فلم يروهم، ثم أكملوا طريقهم في

الرحلة مع مشقة السفر والخوف ، وقلّة الزاد والماء، حتى

وصلوا المدينة سالمين غانمين ، وتاه الفرسان عنهم، وغلبوا

هنالك وانقلبوا صاغرين...!

وصلوا وسلّموا يا مسلمون...

١٥ / وَقَفَاتٌ مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَصَرَ عِبَادَهُ الْمُسْتَضْعَفِينَ ، وَأَذَلَّ رُؤُوسَ الْكُفْرِ
وَالْمُشْرِكِينَ ، وَأَعَزَّ الْمَلَّةَ ، وَقَهَرَ الْأَعْدَاءَ الْأَذَلَّةَ ، نَحْمَدُهُ عَلَى نَصْرِهِ
الْمَبِينِ ، وَتَأْيِيدِهِ الْمَكِينِ ...

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ...

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا مُسْلِمُونَ ، وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَكُمْ ، وَرَاقِبُوا رَبَّكُمْ ،
وَتَعْلَمُوا مِنْ دِينِكُمْ ، مَا يُبَلِّغُكُمْ نَجَاتِكُمْ ... (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ
يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) .

وقال سبحانه : (فَأَقْصِبِ قَصَبَ لَعْلَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) سورة
الأعراف.

فدرونا هذا الأسبوع يا مسلمون : نتفكر في غزوة بدر، ونلامس
شيئاً من أحداثها، ونتفقه في دروسها وعظاتها ...

جاء في المسند عن أنس رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاوَرَ النَّاسَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ
تَكَلَّمَ عُمَرُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِيَّانَا تُرِيدُ
فَقَالَ الْمُقَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ
أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخْضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ
أَكْبَادَهَا إِلَى بَرِكِ الْعِمَادِ فَعَلْنَا، فَشَانِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَندب رسول
الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه، فانطلق حتى نزل بدرًا،

وَجَاءَتْ رَوَايَا قُرَيْشٍ وَفِيهِمْ غُلَامٌ لِبَنِي الْحَبَّاجِ أَسْوَدٌ، فَأَخَذَهُ
أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلُوهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ
وَأَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَمَّا أَبُو سُفْيَانَ فَلَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ، وَلَكِنْ هَذِهِ
قُرَيْشٌ وَأَبُو جَهْلٍ، وَأُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ قَدْ جَاءَتْ، فَيَضْرِبُونَهُ، فَإِذَا
ضَرَبُوهُ قَالَ: نَعَمْ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ، فَإِذَا تَرَكَوهُ فَسَأَلُوهُ عَنْ أَبِي
سُفْيَانَ. قَالَ: مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ مِنْ عِلْمٍ، وَلَكِنْ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ
جَاءَتْ. وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي، فَاَنْصَرَفَ،
فَقَالَ: " إِنَّكُمْ لَتَضْرِبُونَهُ إِذَا صَدَقْتُمْ، وَتَدْعُونَهُ إِذَا كَذَبْتُمْ ".
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ فَوَضَعَهَا، فَقَالَ: " هَذَا
مَضْرَعُ فُلَانٍ غَدًا، وَهَذَا مَضْرَعُ فُلَانٍ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ".
فَالْتَقَوْا، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَوَاللَّهِ مَا أَمَاطَ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَنْ

مَوْضِعِ كَفِّي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَقَدْ جَيَّفُوا ، فَقَالَ : " يَا أَبَا جَهْلٍ ، يَا عُتْبَةَ ، يَا شَيْبَةَ ، يَا أُمِّيَّةُ ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُم رَّبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا " . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَدْعُوهُمْ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَقَدْ جَيَّفُوا ؟ فَقَالَ : " مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ جَوَابًا " . فَأَمَرَ بِهِمْ ، فَجَرُّوا بِأَرْجُلِهِمْ ، فَأُلْقُوا فِي قَلْبِ بَدْرِ .

أولاً: غزوة بدر كانت لقاء مفصلياً ، وفرقانا بين الحق والباطل ، والإيمان والشرك ، والهدى والضلالة (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ) سورة الأنفال.

وفيه أعلا الله تعالى كلمة الإيمان على كلمة الباطل ، وأظهر دينه ،
ونصر نبيه وحزبه .

ثانياً: في قوله **(شاورَ الناس)** : وهذا من هديه وديدنه عليه الصلاة
والسلام ، تفعيل الشورى ومشاركة اصحابه القرار كما أمره ربه
تعالى **(وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) سورة آل عمران**. وفي ذلك درء
للاستبداد وتلاقح العقول ، وطمأنة الجميع ، والاستفادة من
الخبرات والفهوم .. فالرأي قبل شجاعة الشجعان... هو أولُّ
وهي المحلُّ الثاني...!

وثالثاً: حسنُ تفاعل الصحابة وسرعةُ استجابتهم للنصرة والقتال
في بدر، وتكلم المهاجرون فأحسنوا ، ولكنه كان يريد رأيَ
الانصار ، لأنهم الأغلبية الكاسحة في الجيش ، والدارُ دارهم

والنصرة نصرتهم ، ولذلك تظن له سعد بن معاذ رضي الله عنه ،
كما في رواية أخرى فقال: " لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى
حقاً عليها أن لا تنصرك إلا في ديارهم، وإني أقول عن الأنصار،
وأجيب عنهم " فاطعن حيث شئت، وصل جبل من شئت،
واقطع جبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما
شئت، وما أخذت منا كان أحبَّ إلينا مما تركت، وما أمرت فيه
من أمر فأمرنا تبع لأمرك ، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من
غمدان لنسيرنَّ معك، ووالله لئن استعرضت بنا هذا البحر ،
فخضتَه لخضناه معك، فسُرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
بقول سعد، ونشّطه ذلك ثم قال : «سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى

قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظرُ إلى مصارع القوم".

ورابعًا: استيقانُ رسول الله بنصر ربه تعالى له، حتى إنه حددَ مصارعَ قادتهم وهلاكهم، وفي ذلك معجزةٌ ظاهرة أنه رسولُ الله، وأنَّ العاقبة للمتقين.

قال تعالى: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) سورة غافر.

اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذاتَ بيننا، وانصرنا على القوم الكافرين...

أقولُ قولي هذا وأستغفر اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين....

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرفِ الأنبياء
والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.....

أما بعد:

فاعلموا يا مسلمون أن الفريقين التقياً في السابع عشر من رمضان،
جيشُ الكفارِ أكثرُ عدداً وعدة، وجيشُ المسلمين أقلُّ عدداً
وعدة، ولكن النصرَ من عند الله، فلقد سُحق المشركون لأنهم
خرجوا بطراً ورياء الناس، يحادون الله ورسوله ، ويظنون أنهم
على شيء...ء

فحُطم جيشُهم، وطُمس غرورُهم، وتلاشت عدتُهم، وصاروا
غنيمةً للمسلمين (وما النصرُ إلا من عند الله العزيز الحكيم).

ومن دروسِ المعركة أيضًا:

فضل الدعاء والغيث بالله ، فقد أكثر صلى الله عليه وسلم

إلحاحًا من الدعاء حتى سقط رداؤه وهو في العريش.. وقال:

"اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن

تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض".

وقد أمدهم تعالى بالملائكة وشاركوا قتالًا وحماسًا كما في

الحديث : جاء جبريلُ عليه السلام إلى رسول الله ، فقال : ما

تعدون من شهد بدرًا فيكم قلتُ : خيارنا ، قال و كذلك من شهد

بدرًا من الملائكة هم عندنا خيارُ الملائكة) وفي القرآن: (إذْ

تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ

مُرْدِفِينَ) سورة الأنفال.

وبعد المعركة وحسمها قتلاً واسرى في الأعداء ، عرس صلى الله عليه وسلم في الموضع ثلاثاً ، ثم أمر برؤوسهم ، فجلبوا في القلب قلب بدر ، جاء في الصحيح عن أبي طلحة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم: **أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ فَقَذَفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَيْثُ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرِصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرِ الْيَوْمِ الثَّلَاثِ أَمَرَ بِرَأْسِهِ فَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا، ثُمَّ مَشَى، وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نَرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ. حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ، وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنْكُمْ أَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟**

قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا .
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ
بِيَدِهِ ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ " . قَالَ قَتَادَةُ : أَحْيَاهُمْ اللَّهُ
حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا ، وَتَصْغِيرًا ، وَنَقِيمَةً ، وَحَسْرَةً ، وَنَدَمًا .

وهكذا كانت نهاية القوم المجرمين ، الذين عاينوا الدعوة ،
وسمعوا القرآن ، ووعوا الحقائق ، ولكنهم آثروا هواهم على
هدايتهم ، وشرفهم على دينهم ، ودنياهم على آخرتهم ، والله
المستعان .

اللهم صل على محمدٍ وعلى آل محمد....

١٦ / أبوالوليد والعروضُ المغربية:

الحمدُ لله الذي جعل القرآنَ للناسِ بيانًا، وجعل فيه موعظةً وبرهانًا ،
وهدى له عباده رحمةً وامتنانًا ، نحمده على آلائه الكثيرة، ونعمه
الوفيرة... .

ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له ، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبده
ورسوله ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا..
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) .

أما بعد:

أيها الناس:

لا تزال قريشٌ في حيرةٍ من أمر رسول الله ، والدعوة الجديدة ،
والطائفة المؤمنة ، وتزايد الناس ، والكلام المؤثر والخطاب

الأخلاقِي الرَّاقِي... مِمَّا شَوَّشَ عَلَيَّ قَرِيْشٌ ، وَسَفَّهَ دِيْنَهَا
وَعَقَوْلَهَا...

وَذَاةَ يَوْمٍ جَاءَ عْتَبَةُ بْنُ رَبِيْعَةَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قَرِيْشٍ أَلَا أَقُوْمُ إِلَى

مُحَمَّدٍ فَأَكَلْتُمُوهُ.. فَقَالُوا: بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيْدِ، قُمْ إِلَيْهِ فَكَلِمَهُ، فَقَامَ

إِلَيْهِ عْتَبَةُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُوْلِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي؛ إِنَّكَ مَنَا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنَ السُّطَّةِ فِي الْعَشِيْرَةِ

وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرٍ عَظِيْمٍ ، فَرَّقْتَ

بِهِ جَمَاعَتَهُمْ ، وَسَفَّهْتَ بِهِ أَحْلَامَهُمْ وَعَبَتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ

وَدِيْنَهُمْ وَكَفَرْتَ بِهِ مِنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرَضُ

عَلَيْكَ أُمُورًا ، تَنْظُرُ فِيهَا ، لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا .

قال: فقال له رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- : قل يا أبا الوليد
أسمع قال: يا ابنَ أخي إن كنتَ إنما تريد بما جئتَ به من هذا
الأمر مالا ، جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكونَ أكثرنا مالا! وإن
كنتَ تريد به شرفا، سودناك علينا حتى لا نقطعَ أمرادونك ،
وإن كنتَ تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك
رئيا تراه لا تستطيع ردهَ عن نفسك، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه
أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلبَ التابعُ على الرجل ، حتى
يداوى منه أو كما قال له، حتى إذا فرغَ عتبة، ورسول الله -صلى
الله عليه وسلم- يستمع منه قال: أقد فرغتَ يا أبا الوليد ؟ قال:
نعم..قال: فاسمع مني قال: أفعل.. قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ (حم) تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا

عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا
يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ
وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ . سورة فُصِّلَتْ .

ثم مضى رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فيها يقرأها عليه ،
فلما سمعها منه عتبه أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا
عليهما يسمع منه ثم انتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
إلى السجدة منها؛ فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما
سمعت، فأنت وذاك .

وفي رواية أنه تلاها حتى بلغ: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً

مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ..) فقال: ناشدتك الله والرحم، هلا

سكت...؟!!

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلفُ بالله لقد جاءكم أبو الوليد، بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد... قال: ورائي.. أني قد سمعتُ قولاً، والله ما سمعتُ مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشرَ قريش: أطيعوني واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكوننَّ لقوله الذي سمعت منه نبأً عظيم، فإن تُصِبْهُ العرب فقد كُفِيتُموه بغيركم، وإن يظهرَ على العرب، فملكهُ ملككم، وعزه عزُّكم، وكنتم أسعدَ الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه.. فقال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لك.

وهنا وقفاتٌ ودروسٌ جدير بنا تأملها والانتفاع بها :

أولها: ثباتُ رسول الله وقناعته بمنهجه وطريقه، وعدمُ اكتراثه

بهذه الاغراءات من المال والملك والنساء .. (أَتَمِدُونَنَ بِمَالٍ فَمَا

آتَانِي اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا آتَاكُمْ) سورة النمل .

ثانيها: عِظْمُ وقع القرآن عند من أصغى له، ووعى خطابه ، وتأمل

ما فيه من ترغيب وترهيب... (قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ

وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ) سورة يونس .

وثالثها : أدبُ رسول الله وحسنُ إصغائه لمخالفيه ، وهو درس في

الحوار والمناظرات .

ورابعها : يقينُ مشركي مكة بظهور هذا الدين، وأن علاماتِ

الحق ظاهرةٌ ، ودلائلُ الصدق ساطعةٌ ، ولكن ركبها العنادُ،

وتسلط عليهم الضلال .. (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي

أَصْحَابِ السَّعِيرِ) سورة الملك .

وخامسها : أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، قَدْ تَلَّأَتْ نَصُوصُهُ ،

وَبَزَغَتْ بَرَاهِينُهُ ، لَيْسَ بِسِحْرٍ وَلَا شَعْرٍ وَلَا كِهَانَةٍ .. (إِنْ هُوَ إِلَّا

ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ، وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) .

وسادسها : أَنَّ الْمَبَادِيءَ لَا تُشْتَرَى بِالْأَمْوَالِ عِنْدَ مَنْ يَعْتَقِدُهَا ،

وَيَعِيشُ مِنْ أَجْلِهَا ، وَيَحْتَمِلُ مِنْ أَجْلِهَا كُلَّ شِدَّةٍ وَبَلَاءٍ .. !

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِلْخَيْرَاتِ ، وَجَنَّبْنَا الْغَفْلَةَ وَالْحَسْرَاتِ

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ

الحمدُ لله وحده، والصلاةُ والسلام على من لا نبي بعده، نبينا
محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين...

وبعد :

وتظهر في القصة يا مسلمون : تأثر عتبة بن ربيعة، وليونته للحق ،
ولكن قريشاً اتهمته، وأعرضت عن قوله وعقلانيته ، وقدموا
التراث الجاهلي على الوعي الإيماني المستقبلي.. (قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ
لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ
اللَّهِ يَجْحَدُونَ). (سورة الانعام: ٣٣).

ومن دروسِ القصة : أن الإسلامَ مصيرهُ ومنتهاه إلى النصر
والتمكين، وإن ضعف أهله ابتداءً ، وشقي حملته، وقد أدرك
ذلك المشركُ العاقل ، فكيف يترددُ فيه بعضُ أهل الإسلام ،

ويتلعثمُ حينما يرى التطورات الغربية، ويعيشُ آلامَ الذلِّ
والمهانة، قال تعالى: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) . سورة آل عمران : ١٣٩ .

ومن دروسها : خطورةُ رفقاءِ السوءِ ومجالستهم على الدين
والخلق ، فكاد عبثُ أن يسلم لولا تواطؤ أهل مكة وسادتها عليه ،
حتى حُرِمَ هذه النعمة، فقتل مشرَّكاً يوم بدر ، والله المستعان .
ومنها : أن أساليب الأعداء تتنوع ما بين ترغيب وترهيب ، أو
تلويح أو تجريح ، حتى يصيبوا هدفهم، وأن لديهم من التضحية
المالية والاجتماعية ما يحافظون بسببه على عقائدهم الفاسدة ..!
فكيف بحالنا نحنُ أهلِ الإسلام ، ... جهداً فاتر، وبخلٌ حاصل ،

واستقامةً متقلبةً ، .. وقد اشتهر قولُ عمرَ الفاروقِ رضي الله

عنه: " اللهم إني أعودُ بك من جلدِ الفاجر، وعجزِ الثقة " .

هدانا الله وإياكم لأحسنِ الأقوال والأفعال والأعمال، إنه جوادٌ

كريم...

وصلوا وسلّموا يا مسلمون...

١٧ / دروسُ غزوةِ أحد:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنزل الخيرات،
وبتوقيه تتحقق المقاصد والغايات، نحمده على أفضاله ، ونشكره
على إنعامه...

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله ، صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً ..
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ)

أما بعد :

إخوة الإسلام:

هل مرّ عليك يوماً كان أشدّ من يوم أحد...؟!
كذا تسأل عائشة رضي الله عنها نبيّ الأمة عليه الصلاة والسلام ،
وقد عرفت ما جرى في أحد من الشدة والبلاء والانكسار..؟!!

نعم كانت لحظاتٍ عصيبة، وساعاتٍ شديدة، ومعرفةً اشتد
خطبها على المختارِ وصحبه الكرام ، ولكن قابلوها بكل بسالةٍ
وصبر ، وظهرت فيها بطولاتٌ وتضحياتٌ ، أدركوا أن حياتهم
هي الأخرى والاستعداد لها ، وليس الدنيا وزينتها وجمالها ...

تأخرتُ أستبقي الحياة فلم أجد ** لنفسي حياةً مثل أن أتقدما

وهنا حديثٌ في المسند وبعضه في الصحيح ، يحكي فيه حبرُ الأمة
ابن عباس شيئاً من أحداث الغزوة، فانصتوا له، ودققوا في
كلامه....

يقول ابنُ عباسٍ رضي الله عنه : " مَا نَصَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي

مَوْطِنٍ كَمَا نَصَرَ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ : - فَأَنْكَرَ الْحَضُورَ ذَلِكَ - فَقَالَ

ابْنُ عَبَّاسٍ : بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ كِتَابُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إِنَّ

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي يَوْمٍ أَحَدٍ : { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ
تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ { يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَالْحَسُّ الْقَتْلُ ، { حَتَّى إِذَا
فَشِلْتُمْ { إِلَى قَوْلِهِ : { وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ } ، وَإِنَّمَا عَنَى بِهَذَا الرُّمَاءَ ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَقَامَهُمْ فِي مَوْضِعٍ ، ثُمَّ قَالَ : " اَحْمُوا ظُهُورَنَا ، فَإِنْ
رَأَيْتُمُونَا نَقُتْلُ فَلَا تَنْصُرُونَا ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا فَلَا تَشْرَكُونَا
" ، فَلَمَّا غَنِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبَاحُوا عَسْكَرَ
الْمُشْرِكِينَ أَكْبَبَ الرُّمَاءُ جَمِيعًا ، فَدَخَلُوا فِي الْعَسْكَرِ يَنْهَبُونَ ، وَقَدْ
التَّقَتْ صُفُوفُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُمْ
هَكَذَا ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْهِ...

وَالْتَبَسُوا فَلَمَّا أَخَلَّ الرَّمَاءُ تِلْكَ الْخَلَّةَ ، الَّتِي كَانُوا فِيهَا دَخَلَتْ
الْخَيْلُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَضَرَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَالتَّبَسُّوا ، وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
نَاسٌ كَثِيرٌ ، وَقَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ
أَوَّلَ النَّهَارِ حَتَّى قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ لِيَوَاءِ الْمُشْرِكِينَ سَبْعَةٌ أَوْ تِسْعَةٌ ،
وَجَالَ الْمُسْلِمُونَ جَوْلَةً نَحْوَ الْجَبَلِ ، وَلَمْ يَبْلُغُوا حَيْثُ يَقُولُ
النَّاسُ الْغَارَ ، إِنَّمَا كَانُوا تَحْتَ الْمِهْرَاسِ ، وَصَاحَ الشَّيْطَانُ :
قُتِلَ مُحَمَّدٌ ، فَلَمْ يُشَكَّ فِيهِ أَنَّهُ حَقٌّ ، فَمَا زِلْنَا كَذَلِكَ مَا نَشْكُ أَنَّهُ قَدْ
قُتِلَ حَتَّى طَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ السَّعْدَيْنِ نَعْرِفُهُ
بِتَكْفِيهِ إِذَا مَشَى . قَالَ : فَفَرِحْنَا حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يُصِبنَا مَا أَصَابَنَا ، قَالَ
: فَفَرِحِي نَحُونَا وَهُوَ يَقُولُ : " اَشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَي قَوْمٍ دَمَّوْا وَجْهَهُ

رَسُولِهِ " . قَالَ : وَيَقُولُ مَرَّةً أُخْرَى : " اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَعْلُونَا " حَتَّى أَنْتَهَى إِلَيْنَا، فَمَكَثَ سَاعَةً، فَإِذَا أَبُو سُفْيَانَ يَصِيحُ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ : اَعْلُ هُبَلُ . مَرَّتَيْنِ، يَعْنِي آلِهَتَهُ - أَيَّنَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ ؟ أَيَّنَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ؟ أَيَّنَ ابْنُ الْخَطَّابِ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أُجِيبُهُ ؟ قَالَ : بَلَى، فَلَمَّا قَالَ : اَعْلُ هُبَلُ . قَالَ عُمَرُ : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ . قَالَ : فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّهُ قَدْ أَنْعَمْتَ عَيْنَهَا، فَعَادِ عَنْهَا - أَوْ فَعَالَ عَنْهَا - فَقَالَ : أَيَّنَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ ؟ أَيَّنَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ؟ أَيَّنَ ابْنُ الْخَطَّابِ ..

فَقَالَ عُمَرُ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذَا أَبُو بَكْرٍ، وَهَآنَذَا عُمَرُ . قَالَ : فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، الْأَيَّامُ دُوَلٌ، وَإِنَّ الْحَرْبَ سِجَالٌ . قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ : لَا سَوَاءً، قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ،

وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ. قَالَ : إِنَّكُمْ لَتَزْعُمُونَ ذَلِكَ، لَقَدْ خَبْنَا إِذَنْ
وَخَسِرْنَا، ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : أَمَا إِنَّكُمْ سَوْفَ تَجِدُونَ فِي قَتْلَاكُمْ
مُثَلًّا، وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَن رَأْيِ سَرَاتِنَا. قَالَ : ثُمَّ أَدْرَكَتْهُ حَمِيَّةُ
الْجَاهِلِيَّةِ. قَالَ : فَقَالَ : أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَانَ ذَاكَ، وَلَمْ يَكْرَهُهُ.

والحديث إسناده حسن... وقد حسن كلام ابن عباس أولاً: لأنه
اعتبر أحداً نصرانياً في جولتها الأولى، واستعجالهم الغنائم (منكم
من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) ، وهي نصر لما فيها من
الدروس والتربية ، والتصحيح والمعالجة ، ولو تم النصر
المتوالي لاعتمدوا على أنفسهم وغرهم ذلك ، ولم يكشف
دخلاؤهم!..!

وثانيًا: كانت أحدُّ في السنة الثالثة بعد بدر، شَنَّها المشركون انتقامًا لِمَا حَصَلَ من هزيمتهم النكراء ، فَجَهِدوا للتعويض، وترميم الجراح.. ولم يظفروا بحمدِ الله من أهدافهم بشيء..

وثالثًا: بلغ رسول الله استعدادُ مكة للقتال ..، وقد طلبَ أبو سفيان من العباس عم النبي، أن يشارك في قتال المسلمين، لكنه رفضَ وأخبر رسول الله سرًّا بالخطر الذي يتهددهم، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: " **قد رأيت والله خيرًا، رأيت بقرا تذبح، ورأيتُ في ذباب سيفي ثلْمًا، ورأيتُ أني أدخلت يدي في درع حصينة، فأولتها المدينة**". والمقصود بالبقر التي تُذبح هو عددٌ من الصحابة يقتلون، أما المقصودُ بالكسر "الثلْم" الذي يحصلُ للسيف، فهو إصابةُ أحدِ أهل بيته صَلَّى اللهُ عليه وسلم..

ولذلك كانت من أشدَّ الساعات والبلايا في الحياة النبوية جُرح
فيها وأصيب، واستشهد عمُّه حمزة رضي الله عنه، وفضلاء من
أصحابه، والله المستعان، وكل ذلك يعلمنا الصبر، وأن النصرَ
والتمكن، إنما يتم عبر جسرِ الصبر والتعب. (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ
نُذِرُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ. وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ
الْكَافِرِينَ) سورة آل عمران .

اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها
ومولاها....

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين... .

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين...

وبعد :

ومن دروسِ الغزوة أيها الفضلاء : شؤمُ المعصيةِ على الجيش
المسلم والطائفة المسلمة، فلقد أخطأ الرماةُ حماةَ الجبل في
مغادرتهم مكانهم وخالفوا أمرَ القائد عليه الصلاة والسلام..
(أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ
عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) سورة آل عمران .
فأخطأوا من جهة ترك المكان، ومن جهة الإقبال على الغنيمة ،
دون الرجوع إلى قائد المعركة...!

ومنها: فضلٌ من ثبتَ وقاتل من الصحابة كحمزة ومصعب وطلحة وسعد رضي الله عنهم، وجماعة من الانصار كعبدالله بن حرام رضي الله عنهم أجمعين وفي الشهداء منهم قال: (أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ).

ومنها: محبةُ الصحابة رضي الله عنهم لرسولهم الكريم ، ودفاعهم المستميت عنه ، يقول بعضهم : " رَأَيْتُ طَلْحَةَ يَدُهُ سَلَاءً، وَقَى بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ " . وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْرَدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ فَلَمَّا رَهَقُوهُ قَالَ : " مَنْ يَرُدُّهُمْ عَلَيْنَا وَلَهُ الْجَنَّةُ ؟ " أَوْ : " هُوَ

رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟ " فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ،

ثُمَّ رَهَقُوهُ أَيْضًا، فَقَالَ: " مَنْ يَرُدُّهُمْ عَلَيْنَا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟ " أَوْ: " هُوَ

رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟ " فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ،

فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ لِصَاحِبِيهِ: " مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا ". بِإِسْكَانِ الْفَاءِ،

ومعناه: ما أنصفت قريشُ الأنصار ، لكون القرشيين لم يخرجوا

للقتال ، بل خرجت الأنصار واحدا بعد واحد ...!

ومنها: أن مسلك الكفار في الحروب غالبا هو انعدام الأخلاق ،

وقيامهم بالمثلة وهي محرمة ، وتعديهم على آداب المعارك

وقوانينها .

ومن دروسها: قال العلامةُ ابن القيم رحمه الله: " أن حكمةَ الله وسنته في رسله، وأتباعهم، جرت بأن يُدالوا مرّة، ويُدال عليهم أخرى، لكن تكونَ لهم العاقبة، فإنهم لو انتصروا دائماً، دخل معهم المؤمنون وغيرهم... ومنها: استخراجُ عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء، وفيما يحبون وما يكرهون، وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم،... ومنها: أنه إذا امتحنهم بالغلبة، والكسرة، والهزيمة، ذلّوا وانكسروا، وخضعوا، ما استوجبوا منه العزَّ والنصر، فإن خلعةَ النصر إنما تكونُ مع ولايةِ الذلِّ والانكسار، قال تعالى: **{ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة }** آل عمران (١٢٣) **ومنها:** أن الشهادةَ عنده من أعلى مراتبِ أوليائه، والشهداءُ هم خواصُّه والمقربون من عباده، وليس بعد درجة

الصَّدِيقِيَّةُ إِلَّا الشَّهَادَةُ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَحِبُّ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ عِبَادِهِ

شُهَدَاءَ، تُرَاقُ دِمَاؤُهُمْ فِي مَحَبَّتِهِ وَمَرْضَاتِهِ،.. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ وَالرَّسُولِ الْأَكْرَمِ.....

١٨ / وقفات على شفير الخندق:

الحمدُ لله وحده ، نصر عبده، وأعزَّ جنده، وهزم الأحزاب وحده ،
والحمدُ لله لا رادَّ لقضائه ، ولا معقبَ لحكمه ، رفعَ الأخيار ، وأذلَّ
الأشرار ، تبارك اللهُ الواحدُ القهار....

أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده
ورسوله ، صلى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ...
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ).

أما بعد:

أيها الناس:

لم تكنِ الخندقُ معركةً معزولةً عن شكلِ القتالِ المباشر ، بل
حصل فيها قتالٌ من نوعٍ آخر، وهو قتالُ الرعب والجوع وطولِ

الحصار ..!

عزم مشركو مكة ، هم ومَن معهم من الأحزاب على استئصال
الإسلام بزعمهم ، وقد أغراهم بعض سفهاء اليهود ، وزكوا
دينهم الوثني على الدين الحق ، قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُوَ لَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيْلًا) .

وتجمّعوا صوب المدينة قرابة عشرة آلاف مقاتل مدججين
بالسلاح والعتاد ، ولما علم صلى الله عليه وسلم سارعَ باجتماع
استشاري سريع ، خلصوا فيه إلى تطويق المدينة بخندق محفور
في الأرض ، يحولُ دون عبورهم ، وكانت فكرةً فارسية أشارَ بها
سلمان الفارسي رضي الله عنه...!

وعزموا على العمل وقسمه رسول الله فيما بينهم، وشاركهم عليه

الصلاة والسلام في البرد الشديد والجوع المرير...!!

يقول أنس رضي الله عنه كما في الصحيحين : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْخَنْدَقِ، فَإِذَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ

يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَيْدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ،

فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ وَالْجُوعِ قَالَ : " اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ

عَيْشُ الْآخِرَةِ .. فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ " فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا .. عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا..!

وقال البراء رضي الله عنه : " لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ وَخَنْدَقِ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الْخَنْدَقِ حَتَّى

وَأَرَى عَنِّي الْغُبَارُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعْرِ، فَسَمِعْتُهُ يَرْتَجِزُ

بِكَلِمَاتِ ابْنِ رَوَاحَةَ وَهُوَ يَنْقُلُ مِنَ التُّرَابِ، يَقُولُ: "اللَّهُمَّ لَوْلَا

أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا فَأَنْزِلْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتْ

الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا إِنْ الْأَلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةَ أَيْبِنَا "

قَالَ: ثُمَّ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا. **وفي المسند:** عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَفْرِ

الْخَنْدَقِ، قَالَ: وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنَ الْخَنْدَقِ لَا تَأْخُذُ

فِيهَا الْمَعَاوِلُ، قَالَ: فَشَكَّوْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: وَضَعَ ثَوْبَهُ، ثُمَّ

هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ - فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ، فَقَالَ: "بِسْمِ اللَّهِ".

فَضْرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، وَقَالَ: "اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ

مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا أَبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا".

ثُمَّ قَالَ : " بِاسْمِ اللَّهِ " . وَضَرَبَ أُخْرَى ، فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ ،
فَقَالَ : " اللَّهُ أَكْبَرُ ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ
الْمَدَائِنَ وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا " . ثُمَّ قَالَ : "
بِاسْمِ اللَّهِ " . وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى ، فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ ، فَقَالَ : "
اللَّهُ أَكْبَرُ ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ
مِنْ مَكَانِي هَذَا " .

وقد وقعت مثل هذا النصوص على قلوب الصحابة كالماء
البارد، والبلسم الشافي، خففت من روعهم، وثبتتهم، وما زادهم
ضخامة الأحزاب إلا إيمانًا وتسلیمًا ...

وفي الغزوة دروسٌ ووقفات :

أولها: أن الغزوة تبينُ عظمَ حقدِ المشركين وأذنبهم على الدعوة الإسلامية ، وأنَّ الكفرَ ملَّةٌ واحدة، وأنهم يتمنون الفتك بأهل الإسلام ، ولذلك حربُهم متجددةٌ في كل زمان وحين ..
(أَتَوَاصُوا بِهِ بَلِّغْهُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) سورة الذاريات .

وثانيها : مشاركة القائد أصحابه في العمل ، وتواضعه صلى الله عليه وسلم وكما يقال : سيدُ القوم خادمهم ، ...! فلم يتأفف أو يترفع ، بل حملَ الحجارة ، وتلطَّحَ بالتراب ..

وثالثها: أنَّ الحكمةَ الحربيةَ اقتضت عدمَ المواجهة المباشرة ، والاكتفاء بالخندق لصدِّ زحفهم وجبروتهم ، ولذلك وقع تراشقٌ بالنبل دون الالتحامِ المباشر . ولذلك اندهشوا لما رأوه .. وقال

أبو سفيان: " والله إنها لمكيدةٌ من مكائد فارس، لا معرفة للعرب بها قط ". وفيه استفادةُ الأممِ بعضها من بعض .

ورابعها : أنَّ المؤمنَ مبتلى حتى في عقر داره، فقد جاءتهم المعركةُ إلى ديارهم ، ففرزت الصفوف، وكشفت المنافقين ، ومحّصت قلوبَ المؤمنين ...

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا).

اللهم املاً قلوبنا بالإيمان ، واجعلنا من عبادك المخلصين
الثابتين يا كريم ...

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين....

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى
الظَّالِمِينَ ، وَأَصْلِي وَأَسْلَمُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.....

وبعد:

وخامسها أيها الفضلاء :

تَفَطَّنُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَثَبَاتُهُ الْعَسْكَرِي فِي الْمَعْرَكَةِ ،
وَكشَفُهُ لِتَخَاذُلِ الْمُنَافِقِينَ ، وَغَدْرِ الْيَهُودِ ، وَحُسْنُ إِدَارَتِهِ لِذَلِكَ
كُلِّهِ ، وَلِذَلِكَ مَدَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَشَادَ بِوَقْفَتِهِ الْعَظِيمَةِ ، وَكَانَتْ آيَةُ
الْأَسْوَةِ فِي مَضَامِينِ آيَاتِ الْأَحْزَابِ .. (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) .

ومنها أيضًا: أن العاقبة للمتقين، والدائرة والهزيمة على الظالمين، وأن معالم التمكين ظاهرة لأهل الإيمان، فقد سلمهم الله تعالى، وأيدهم بالمعجزات، التي تحار العقول عندها...!

وقد اتسعت الفتوحات الإسلامية بعد وفاته، ودخلت كل البلدان التي سماها، في رحاب الإسلام، وصار للدين بهم منعة وقوة..!

ومن الدروس أيضًا: أن النصر من عند الله، وأن قدرته غالبية، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.. تحزب عارم، وجيش عريض، وسفر شاق، وحمولة ضخمة... ثم باءوا بالفشل (**وَرَدَّ اللَّهُ** الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ..) سورة الأحزاب.

ومنها : قبْحُ شأنِ المنافقين واليهود ، وقد زلزلهم الله وأنزلهم من خصومهم وهم بنو قريظة نقضة العهود... (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا. وَأَوْرَثَكُمُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا).

ومنها : أن الخدعة في الحرب مشروعة، لحديث : (الحرب خدعة) إذا كانت تؤدي إلى النصر وسلامة ، وأن كلَّ طريق يؤدي إلى النصر وإلى الإقلال من سفك الدماء ، مقبول في نظر الإسلام، ما عدا الغدر والخيانة. ويؤخذ ذلك من الدور العسكري الحواري الذي بذله نعيم بن مسعود الغطفاني رضي

الله عنه ، وتخذي له صفوف الأحزاب ، والله غالبٌ على أمره ،
ولكن أكثرَ الناس لا يعلمون...!

وكما بذل نعيمٌ دورًا عسكريًا ، بذل جابرٌ رضي الله عنه دورا
اجتماعيا تكافليا ، في إطعام رسول الله والجيش طعامًا مباركًا ،
تجلت فيه المعجزات النبوية ، فضلا من الله ورحمة ، فكان
تخفيفًا وتأنيسًا.. والله لا يضيع أجرَ من أحسنَ عملًا...!

وصلوا وسلّموا يا مسلمون على الضحوك القتال، الثابت في
الشدائد والأهوال ، نبينا محمد....

١٩ / فتح مكة .. دروس وعبر:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلِّ
فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا .

أما بعد:

معاشر المسلمين :

اليوم يعود رسول الله إلى مكة البلد الأمين ، التي أخرجها منها
أهلها ، وآثروا الكفر على الإيمان ، وضيعوا مجدا تاريخيا ، وعزا
تشوقه الملوك والعظماء .. سبق اليه الأنصار !...

مكة التي كان يحبها ، ولكن أهلها أبغضوه، وحرصوا عليه،
وكادوا أن يقتلوه .. (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ
يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ).
سورة الأنفال.

مكة .. التي وُلد فيها، وربا فيها شبابها، وتنعم بأنسامها
وجمالها... يعود إليها فاتحا منصورًا ، يعلي شأنها ويطهرها من
الشرك وراياته وخرافاتة، ومن الذين لا يتطهرون ، ويقىم دعائمها
على الإسلام والنور المبين..

يقول ابن عباس رضي الله عنهما، إن النبي صلى الله عليه وسلم
خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف، وذلك على رأس
ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة، فسار هو، ومن معه من

الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَكَّةَ يَصُومُ وَيَصُومُونَ حَتَّى بَلَغَ الْكَدِيدَ - وَهُوَ :
مَاءٌ بَيْنَ عُسْفَانَ، وَقُدَيْدٍ - أَفْطَرَ وَأَفْطَرُوا.

وقال عروة بن الزبير كما في صحيح البخاري : قَالَ : لَمَّا سَارَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا خَرَجَ

أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَبَدِيلُ بْنُ وَرْقَاءَ

يَلْتَمِسُونَ الْخَبَرَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلُوا

يَسِيرُونَ حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانِ فَإِذَا هُمْ بِبَيْرَانَ، كَانَتْهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ،

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : مَا هَذِهِ لَكَانَتْهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ ؟ فَقَالَ بَدِيلُ بْنُ وَرْقَاءَ

: نِيرَانُ بَنِي عَمْرِو. فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : عَمْرُو أَقْلٌ مِنْ ذَلِكَ. فَرَأَاهُمْ

نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَذْرَكُوهُمْ،

فَأَخَذُوهُمْ، فَأَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ أَبُو

سُفْيَانُ، فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ : أَحْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ حَظْمِ
الْخَيْلِ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ . فَحَبَسَهُ الْعَبَّاسُ ، فَجَعَلَتْ
الْقَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ تَمُرُّ كَتِيبَةً كَتِيبَةً عَلَى
أَبِي سُفْيَانَ ، فَمَرَّتْ كَتِيبَةً ، قَالَ : يَا عَبَّاسُ مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ : هَذِهِ
غِفَارُ . قَالَ : مَا لِي وَلِغِفَارِ . ثُمَّ مَرَّتْ جُهَيْنَةُ ، قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ
مَرَّتْ سَعْدُ بْنُ هُدَيْمٍ ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَمَرَّتْ سُلَيْمٌ ، فَقَالَ مِثْلَ
ذَلِكَ ، حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتِيبَةً لَمْ يَرَ مِثْلَهَا ، قَالَ : مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ : هُوَ لَاءِ
الْأَنْصَارِ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ . فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ : يَا
أَبَا سُفْيَانَ ، الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ . فَقَالَ أَبُو
سُفْيَانَ : يَا عَبَّاسُ ، حَبِّدَا يَوْمَ الدِّمَارِ . ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ وَهِيَ أَقْلُ
الْكَتَائِبِ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ ، وَرَايَةُ

النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي سُفْيَانَ قَالَ : أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ؟ قَالَ : مَا قَالَ ؟ قَالَ : كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ : كَذَبَ سَعْدُ، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظَّمُ اللهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ. قَالَ : وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُرْكَزَ رَايَتُهُ بِالْحَجُّونِ. قَالَ عُرْوَةُ : وَأَخْبَرَنِي نَافِعُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْعَبَّاسَ يَقُولُ لِلزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، هَاهُنَا أَمَرَكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَرُكُزَ الرَّايَةَ. قَالَ : وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ مِنْ كُدَاءٍ ، وَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كُدَاءٍ، فَقَتِلَ مِنْ خَيْلٍ

خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ رَجُلَانِ ؛ حُبَيْشُ بْنُ الْأَشْعَرِ ، وَكُرْزُ بْنُ

جَابِرِ الْفَهْرِيِّ ...

نعم سار إليها في السنة الثامنة من الهجرة وفي رمضان ، وقد

نقضوا صلح الحديبية، وأخلّوا بقانون الحروب والمعاهدات ،

فكان لابد من تأديبهم ونصرة المستضعفين من خزاعة ، وقد

حانت الفرصة، وانتشر الإسلام بعد الحديبية ، وأمن الناس ، فلم

يُعرض الإسلام على عاقل إلا دخله واستحبه، وهذا من ثمرات

الحديبية إيقاف الحرب ، لانتشار الدعوة، ويعمّ السلام...!

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : "هو الفتح الأعظم الذي أعز الله

به دينه ورسوله وجنده وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته

الذي جعله هدىً للعالمين، من أيدي الكفار والمشركين، وهو

الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطنابُ عزِّه على
مناكبِ الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجاً، وأشرق
به وجهُ الأرض ضياءً وابتهاجاً" ا. هـ.

الله أكبر جاء الفتح وابتهجت...

للمسلمين نفوس سرّها وشفى

مشى النبيُّ يحف النصرَ موكبهُ...

مشيعاً بجلالِ اللهِ مكتنفا

وفي الغزوةِ دروسٍ وعبرٍ منها :

أولاً: أن العاقبة للمتقين ، ولو استضعفوا أو ذلوا أو أخرجوا،

مصيرهم الظهور والانتصار كما قال : (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا

يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا)...

وثانيًا: أن نكث العهود، ليس من اخلاق الحرب وأن عاقبته وخيمة للغاية، فنقضت قريشُ عهدَها، فحلَّت بها الهزيمةُ والمهانة .

وثالثًا: جلاء الصفة القيادية المتميزة لديه صلى الله عليه وسلم.. فقد رفض الحربَ سابقاً ، وقبلها الآن وقد لاحت فرصتها، وانكشف للعرب سوء رعاية قريش للخرم ومكانته.

ورابعًا: مشروعية إرهاب العدو بإظهار القوة له، والاستعراض العسكري المرعب للنفوس وفي القرآن قال تعالى: **(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)** . سورة الأنفال (٦٠).

خامساً: بيان تواضع الرسول - صلى الله عليه وسلم - لربه شكراً له على آلائه وإنعامه عليه، إذ دخل مكة وهو حانيا رأسه ، حتى إنَّ لحيته لتمس رحل ناقته تواضعاً لله وخشوعاً. فلم يدخل - وهو الظافر المنتصر - دخول الظلّمة الجبارين . (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) (النصر ١ - ٣) .

اللهم وفقنا لهداك ، واجعل عملنا في رضاك ...

أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين

فاستغفروه...

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين،
وعلى آله وصحبه أجمعين...

وبعد :

ومن دروسِ الفتحِ يا مسلمون: العفوُ عند المقدرة وفضيلةُ
الصفحِ الكبيرِ ، (اذهبوا فأنتم الطلقاء) ، وأن المؤمن ليس منتقمًا
ولا متشفياً ، إذ عفا عن قريشٍ ، الذين طردوه وحاربوه ، وسامحَ
حاطبا الذي حاول إخبار قريشٍ ، ولم يقتل منهم سوى أربعة
رجالٍ وامرأتين ، إذ رفضوا الإسلام.

ومنها: بيانُ الكمالِ المحمدي في العدل والوفاء ، تجلَّى ذلك في
رد مفتاح الكعبة لعثمان بن أبي طلحة سدنة البيت ، ولم يُعْطه مَنْ
طلبه من الصحابة.

ومنها: مشروعية كسر الأصنام، والصور، وإبعادها من

المساجد، حيث وجدها داخل الكعبة فأبطلها .

ومنها: أنّ الحرم اختصّ بجملة خصائص هي : حرمة القتال فيه،

وتحريم صيده، وتحريم قطع شيء من نباته، ووجوب دخوله

مُحْرِمًا لمن أراد العمرة، وحرمة تمكين غير المسلمين من

الإقامة فيه، (**وَأِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ وَإِنَّهَا سَاعَتِي هَذِهِ ثُمَّ**

هِيَ حَرَامٌ لَا يُعْضَدُ شَجْرُهَا وَلَا يُخْتَلَى شَوْكُهَا وَلَا يُلْتَقَطُ سَاقُهَا

إِلَّا لِمَنْشِدٍ) .

ومنها: رفضه صلى الله عليه وسلم لكل العبارات العنصرية

والانتقامية، حيث رد على سعد بن عبادة حينما قال: اليوم

تُستحلُّ الكعبة، فقال... (**اليوم يوم المرحمة، اليوم تعظم**

الكعبة، وتكسى الكعبة) .. وفي رواية : (يا أبا سفيان، اليوم يومُ
المرحمة، اليوم ، أعز الله فيه قريشاً) وعزله الرسول من الراية،
وجعل ابنه مكانه . وزاد من شرف أبي سفيان أن قال: (من دخل
دارَ أبي سفيانَ فهو آمنٌ، ومن أغلقَ عليه دارَهُ فهو آمنٌ، ومن دخلَ
المسجدَ فهو آمنٌ قال: فتفرَّقَ النَّاسُ إلى دورِهِم وإلى المسجدِ)
فحقن دماءَ الناس وأمنهم ، وفيه دليل على أنه لم يأت لقتال ولا
لقتل ، وإنما للعدالة والهداية... (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَالَمِينَ) . [الأنبياء: ١٠٧] .

اللهم صل وسلم على النبي الأعظم....

٢٠ / درس من غزوة حنين:

الحمدُ لله ، أكرمنا بدينه ، وشرفنا بطاعته ، وجعلنا خيرَ أمةٍ أخرجت

للناس ، رفع الأُخيار ، ووضع الأشرار ، ونصر المجاهدين

الأبرار... .

نحمدهُ على تمامِ النعمة ، وقيامِ الحجةِ والنصرة

أشهدُ أن لا إلهَ الا اللهُ وحده لا شريك له ، ونشهدُ أن محمداً عبدهُ

ورسوله ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب).

أما بعد:

معاشرَ المسلمين :

اليومَ يحنُّ الفؤادُ إلى غزوةِ حُنين ، لنفهمَ درسها وعظاتها ،

وأحداثَ الطائف وتطوراتها ..! ذلك المكان الذي قصده نبينا

داعيا ، فترة البعثة قديما ، في مكة... فأوذي ونيل منه صلى الله عليه وسلم...! والآن يتجه له بعد فتح مكة، ويسمع بتجهزهم، ونية القتال ، وقد خرجوا بأهاليهم وأموالهم وعدتهم ليعظم الخطب، ويشتد الحماس ، دفاعا عن دينهم ومنطقتهم...! ولكن أمر الله أعظم ، وقدرته بالغة غالبة.. (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) سورة التوبة .

جاء في الصحيحين : عن العباس رضي الله عنه قال : شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَلَزِمْتُ أَنَا، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنَ الْحَارِثِ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ نَفَارِقْهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بِيضَاءَ

أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الْجُدَامِيَّ، فَلَمَّا التَّقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكَفَّارُ
وَلَى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةٍ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْفُهَا إِرَادَةً أَنْ لَا تُسْرِعَ..

وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَيُّ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ
السَّمْرَةِ". فَقَالَ عَبَّاسٌ - وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا - فَقُلْتُ بِأَعْلَى
صَوْتِي: أَيُّنَ أَصْحَابِ السَّمْرَةِ قَالَ: فَوَاللَّهِ، لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ
سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقْرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ، يَا
لَبَّيْكَ. قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكَفَّارَ وَالِدَّعْوَةَ فِي الْأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا
مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ.

قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَقَالُوا:
يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ. فَنَظَرَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى بَعْضِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا
إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " هَذَا حِينَ
حَمِيَ الْوَطِيسُ ". قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حَصِيَّاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وَجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: " انْهَزْمُوا وَرَبِّ
مُحَمَّدٍ ". قَالَ: فَذَهَبَتْ أَنْظُرٌ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ:
: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصِيَّاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا ،
وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا.

وفي حديث آخر في الصحيح: قَالَ رَجُلٌ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا: أَفَرَزْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ

؟ قَالَ : لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفِرَّ، إِنَّ هَوَازِنَ
كَانُوا قَوْمًا رُمَاءً، وَإِنَّا لَمَّا لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ فَاَنْهَزْمُوا، فَأَقْبَلَ
الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْغَنَائِمِ وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسَّهَامِ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَفِرَّ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لَعَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَإِنَّ
أَبَا سُفْيَانَ أَخَذَ بِلِجَامِهَا، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

" أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ "

وهنا دروس من تلكم المعركة :

أولاً: أن الانتصار يكون بقوة العقيدة وصدق الإرادة ، وليس
بالكثرة والعدد، كما توهمه بعضهم فحسروا الجولة الأولى..
(لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ
كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ

ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى
الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا) سورة
التوبة .

وثانياً: ثباتُ رسولِ اللهِ العظيم، فلم يفرَّ يومَ فرَّ الناس، وظلَّ
يصوبُ البغلةَ تجاههم، ويصدحُ بصوته أين أصحاب
السُّمرة... يذكرهم بالبيعة...

وثالثاً: فضلُ الصحابة رضي الله عنهم، وحفاظُهم على بيعتِهِم
لرسولِ الله، واستبسالِهِم في الدفاع، وانعطفوا عليه عطفةَ البقرِ
على صغارها، وعظُم ما قدمه أنصارُ الله ورسوله من البسالةِ
والشجاعةِ، والثباتِ العجيبِ .

ورابعاً: تميّزُ بعضِ الفئاتِ بالإقدامِ النادرِ ، والجهادِ العريضِ

قَالَ: " ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَفِي

شِدَّةِ الْمَوَاقِفِ تَبْقَى فِتْنَةٌ مَخْصُوصَةٌ ، نَادِرَةٌ عَنِ سَائِرِ الْبَشَرِ...!!

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) سورة

الأحزاب.

اللهم أعنا ولا تعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا يا ذا الجلال

والإكرام..

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين ...

الحمدُ لله والصلاةُ والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه

ومن والاه...

وبعد :

أيها الإخوة الكرام :

ومن دروسٍ حنينٍ أيضًا: أن النصرَ لا يوتى إلا بأسبابه ومقدماته ،

وأنه قد يُسلبُ إذا حصل الاغترارُ والاعتماد على الكثرة والقوة .

وإثباتُ سنة الابتلاء، وأن تسلطَ الأعداءِ الأولي يكشفُ الدخلاء

والمندسين .

ومن دروسها: عدلُ رسول الله في توزيع الغنائم ، وتأليف أناس

من العرب بها، وهوانُ الدنيا في عينيه ، ووكلُ الفضلاءِ إلى

إيمانهم وصلاتهم . ثم مروءته صلى الله عليه وسلم في رد السبي

إلى هوازن لما جاءوا مسلمين تائبين ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَمَا مَا كَانَ لِي وَلِبنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَهُوَ لَكُمْ " .
قَالَ الْمُهَاجِرُونَ : وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَالَتِ الْأَنْصَارُ : وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ومن دروسها أيضًا : أن الله ناصر دينه ، ومظهر أوليائه ، فقد ثبت أهل الإيمان ، وضعع أهل الطغيان ، وأمدّم بالملائكة ، وجنود لم تروها ، وحصّبهم رسول الله بحصيات ، حتى أذهب حدّهم وقوتهم ، فكلّوا وانهزموا ، .. " فانتقمنا من الذين أجزموا ، وكان حقًا علينا نصر المؤمنين " .

وصلوا وسلّموا يا مسلمون على نبي الرحمة والملحمة

٢١ / حادثة بئر معونة ومصراع الفضلاء :

الحمدُ لله رب العالمين ، ولي الصالحين ، وخالق الخلق أجمعين ،
وقيوم السموات والأرضين ، نحمده سبحانه ونشكره ، ومن كل
ذنبٍ نستغفره

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده
ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ..
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) .

أما بعد :

إخوة الإيمان :

مِنْ أَقْبَحِ مَا اتَّصَفَ بِهِ الْمَرْءُ ، خَصْلَةُ الْغَدْرِ ، فَلَا يَكُونُ لَهُ عَهْدٌ وَلَا
ذِمَّةٌ ، وَلَيْسَ لَهُ خَلْقٌ وَلَا مَرْوَةٌ ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْإِسْلَامُ الْغَدْرَ ،

والرسلُ لا تغدر، وأتباعهم على طريقتهم في حفظ العهد،
وحُسنِ الوفاء، وفي الحديث: (اغزُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا).

وقد كَلِمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابِهِ أَحْيَانًا مِنْ نَافِذَةِ الْغَدْرِ،
كَمَا فِي حَادِثَةِ "بِئْرِ مَعُونَةَ فِي السَّيْرَةِ" !....!

فَقَدْ اسْتَعْلَى الْقَوْمُ الْأَشْرَارَ الَّذِينَ فَتَكُوا بِهِمْ غَدْرًا، بَعْدَ أَنْ
أَمَّنُوهُمْ أَهْلَهُمْ !...

يَقُولُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَمَا فِي الصَّحِيحِ، إِنَّ رِعْلًا،
وَذِكْوَانَ، وَعُصَيْيَّةَ، وَبَنِي لِحْيَانَ اسْتَمَدُّوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ عَلَى عَدُوٍّ، فَأَمَدَّهُمْ بِسَبْعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ كُنَّا نُسَمِّيهِمْ :
الْقُرَّاءَ فِي زَمَانِهِمْ، كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بِالنَّهَارِ، وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ حَتَّى
كَانُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ قَتَلُوهُمْ، وَغَدَرُوا بِهِمْ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، فَكُنْتُ شَهْرًا يَدْعُو فِي الصُّبْحِ عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ
؛ عَلَى رِغْلٍ وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةً، وَبَنِي لَحْيَانَ. قَالَ أَنَسٌ : فَفَرَأْنَا
فِيهِمْ قُرْآنًا، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ رُفِعَ : بَلَّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِي
عَنَّا وَأَرْضَانَا. ، وَأَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنْتُ شَهْرًا فِي
صَلَاةِ الصُّبْحِ يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ؛ عَلَى رِغْلٍ،
وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةً، وَبَنِي لَحْيَانَ، ...

وفي رواية : أن أبا براء عامر بن مالك المدعو (بملاعب الأسنه)

قدم على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة، فدعاه إلى
الإسلام فلم يسلم ولم يبعد، فقال: يا رسول الله لو بعثت
أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك، لرجوت أن
يجيئوهم، فقال: إني أخاف عليهم أهل نجد، فقال أبو براء: أنا

جاءَ لهم، فبعث معه أربعين رجلاً... فغدرت بهم بنو سليم
ومنهم: عَصِيَّةُ وِرْعَلٍ وَذِكْوَانُ، فاحاطوا بهم وقتلوهم في غدره
شائنة، إلا رجلين كانا مع الدواب هما: عمرو بن أمية الضمري
والمندر بن عقبة بن عامر، ورأيا الطير تحوم على موضعهم،
فإذا الخطبُ شديد، فقاتل المندر حتى قُتل وقال: "لم أكن
لأرغبَ بنفسِي عن موطنٍ قتل فيه المندرُ بن عمرو، وما كنتُ
لأخبرَ عنه الرجال، فقاتل القومَ حتى استشهد"، وأسرَ عمرو بن
أمية، ثم أعتقه عامرُ بن الطفيل في رقةٍ لأمه، كما زعم...!
فتأملوا هنا يا مسلمون: يُفجعُ رسول الله عليه الصلاة والسلام في
خيارٍ من أصحابه، كان نعتهم "القراء"، وما أجمله من وصفٍ
رفيع، أي أنهم من أهل القرآن، وهذا الدرسُ الأول، فإنَّ لله

أهلين، وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته ..! فكيف حالنا نحن مع القرآن... ولهذا الكتاب حق علينا، تلاوة وعملا، وتدبرا واسترشادا، وتطبيقا وامثالا، وإياكم والهجر والإهمال، أو الشغل والنسيان ...

ثانياً: أن طبائع البشر مختلفة، وأخلاقهم متفاوتة، فكما تلقى أذاذا كراما، تجد شواذاً لئاما، لا ينتهون عبر التاريخ البشري .
وثالثاً: تهمة رسول الله وحرزته على صحابته، والانتقام من القتلة الفجرة، بذكر الصالحين والدعاء على قاتليهم... ومشروعية القنوت في النوازل والأحداث....

ورابعاً: شجاعة صحابة رسول الله وتصديهم برغم الغدر المفاجئ، ورفضهم الانصياع لهم، حتى ذهب خضراؤهم ..!

وخامساً: عِظْمُ التَّضَحِيَّاتِ الْمَقْدَمَةِ لِلْإِسْلَامِ ، دَعْوَةٌ وَجِهَادٌ مِنْ الْقَوْمِ الْمَفْلُحِينَ ، وَثَبَاتُهُمْ بِإِخْلَاصٍ ، وَمِشَارَكَةُ الْآخِرِ السَّابِقِ كَمَا قَالَ الْأَنْصَارِيُّ: (مَا كُنْتُ لِأَرْغَبَ بِنَفْسِي عَنْ مَوْطِنٍ ، قُتِلَ فِيهِ الْمَنْذَرُ بْنُ عَمْرٍو).

وسادساً: حِرْصُ أَوْلَادِكَ الْجَيْلِ الْفَرِيدِ عَلَى الْآخِرَةِ ، وَطَلِبُ الشَّهَادَةِ ، حَتَّى إِنْ مِنْهُمْ حَرَامٌ بْنُ مَلْحَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ فِي يَدِهِ "كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ" ، طُعِنَ غَدْرًا مِنَ الْخَلْفِ فَقَالَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ فَزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ). (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ). سورة يس .

اللهم وفقنا للخيرات ، وجنبنا الغفلة والحسرات...

أقولُ قولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ...

الحمدُ لله وكفى، وسلاماً على عباده الذين اصطفى، وعلى
خيرِهم سيدنا محمدٍ خيرِ رسولٍ مقتفى، وعلى آلِهِ وصحبه
أربابِ المجد والوفا... .

وبعد :

أيها الفضلاء:

ومن دروسِ القصة: حُسنُ اختيارِ الدعاة المناسبين، علماً
وتأهلاً، بحيث يقدمون الإسلام في صورةٍ حسنة مرضية، فقد كان
نعتهم القراء .

ومنها: أن هذا الدينَ لن ينهض إلا على فصولٍ من الابتلاء
والمناكفة من أهل الباطل، ولذلك وجب الصبرُ، وتعيَّنَ

الاحتمال . (ولنصبرنَّ على ما آذيتمونا) سورة إبراهيم . وصحَّ
في الحديث: (واعلم أنَّ النصرَ مع الصبر) .

ومن الدروس أيضا : فضلُ أولئك الجيل ونزولِ قرآنٍ فيهم ،
يمجدهم ، ثم نسخُ تلاوته بعد ذلك ، حكمةً من الله وتشريعا .

ومنها : مشروعيةُ الاكتساب وإعفافِ النفس فقد كانوا هؤلاء
القراء ، يشتغلون بالحطب ويبيعونه ، وليس في ذلك لا عارٌ ولا
شمار...!

ومن الدروس : حفاظُ المنهج الإسلامي على أخلاق الحروب ،
ورفضه الغدر والخداع ، ولذلك لم يغدرُ عليه الصلاة والسلام ،
واستشنعَ هذه الخصلة الذميمة ، ودفعَ دية الرجلين الذين قتلها

عمرو بن أمية ، لأن معهما عهداً من رسول الله... فلنتعلم من

هذه الأخلاق التي تؤصل للتعاملات بين البشر..!

وصلوا وسلّموا يا مسلمون على النبي الأعظم والرسول الأكرم..

٢٢ / ابْتِسَامَةُ الْبَرْدِ النَّجْرَانِيِّ:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ
أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلَّهُ
فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنْ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ ، وَكُلُّ
بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ...

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا .

معاشرَ المسلمين :

هل تتذكرُ يوماً ما ، مواقفَ صعبةٍ مرّت عليك ، أو تطاولَ عليك

بعضُ الناسِ بثقلٍ وسماجة...؟!!

وكيف كان ردُّك...؟!!

وما موقفُك مع مَنْ أزعجك...؟!!

تخيّل .. لو جاء إليك أحدٌ فسحبك من ملابسك ، وأنت في

غفلة...؟!!

هل يبقى للحلم عندك موضعٌ، وهل تشرق عليه أخلاقك
بالزهور.. استمع إلى هذا الموقف من السيرة النبوية... لتتعلم

درسًا في الأخلاق ، ودرسًا في الحلم ، ودرسًا في المروءة...!

يقول **أنس بن مالك رضي الله عنه**، كما في صحيح البخاري

رحمه الله : كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ

نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً ،

حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَرَتْ

بِهِ حَاشِيَةُ الرَّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي

عِنْدَكَ . فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ .

وفي هذه القصة القصيرة دروس ووقفات :

أولها: سيره في الناس بلا حجاب ولا حرس، ولا خوفٍ ولا

اضطراب، فهو واحد منهم، .. محبوبٌ ميمون، ومحمودٌ

مطلوب، قد فتح صدره لهم ، واتسعت أخلاقه لكل طالب
وسائل .. (**وإنك لعلی خلقٍ عظیم**) سورة الملك .

ثانيها : سعة حلمه وتواضعه، وصبره على جفاء الناس
وغلظتهم، وهذا سرُّ سبق به ، ومجدُّ اختص به ، يسع الناس
بسلوكه ، ويغلبهم بخلقهم .. (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ
كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**) سورة آل عمران .

وتصوروا لو كان الداعيةُ فظا شديدا، هل تبقى لكلماته أثرٌ ، وهل
يقرب الناس من حديثه ..؟!

وأيمُ اللهُ ستكُبهُ الأعين ، وتلعنهُ الألسن ، وتعتقدُ تشويهه لدين الله
وجمال الإسلام، وروعة الشريعة...!

وثالثها : انتصارُ رسولِ الله لدينه وليس لنفسه، وتغليبُه المصلحةَ الدعوية على الغضبِ النفسية ، ولذلك قابل الرجل الجافي بالبسمة والضحك، وزاده على أن أمر له بعطاء...! وهنا صبرٌ وكرم، وتحملٌ ومروءة ، وجمالٌ وأفضال...!

يا من له الأخلاقُ ما تهوى العلا ** منها وما يتعشق الكبراءُ
زانتك في الخلقِ العظيمِ شمائلُ ** يغرى بهن ويولع الكرماءُ
وإذا عفوتَ فقادراً ومقدراً ** لا يستهينُ بعفوك الجهلاءُ
وإذا رحمتَ فأنت أمٌّ أو أبٌ ** هذان في الدنيا هما الرحماءُ



ورابعها: الصفحُ عن الجهالِ والعامَّة، واغتفارُ زلاتهم، بل ومقابلتها بالبسمة ، فابتسم المعلمُ ، وابتسم البردُ النجراني الذي

أثر في عاتقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..، وواجه ألمَّ البُردِ بابتسامٍ

منشور ، وعفوٍ ضاحك ، وسماحةٍ ندية...!

وخامسها : لم يفكر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المحاسبة والعقاب ،

وتعليمه الأدب مع الأكابر، بل عفا وأعطى ، وسكتَ وأزجى ،

وهذه أخلاق الكبار، وشيم العظماء ..!

اللهم ربنا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداةً مهتدين ...

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المؤمنين ،

فاستغفروه وتوبوا إليه....

الحمدُ على إنعامه ، والشكرُ له على إحسانه وأفضاله ، وأصلي
وأسلمُ على خيرِ عباده وأنبيائه ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين...

وبعد :

ابتسمَ صاحبُ البُردِ النجراني يا مسلمون: ليعلمنا درسَ الحلم
والتسامح، وأنَّ الأخلاقَ عظيمة، وأنَّ احتواءَ الناسِ رحمةً بهم ،
وتحبيبُ لهم في دين الله، وأنَّ الداعية يعطي ولا يأخذ ، ويحلم
ولا يتجاوز، ويصفح ولا يعاقب .. (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلامًا) سورة الفرقان .

وهذا منهج قرآني ، وقبسُ إيماني ، أن لا نجهل مع الجاهلين ، وأن
لا نخوض مع الخائضين .

ومن دروسها : ادفعْ بالتي هي أحسن ، فلا ارتيابَ أن الرجلَ

سيتغير وقد رأى صبراً لا نظير له، وكرماً نادراً ، وتسامحاً فريداً ،

وهذا من دروس القرآن وأخلاق حملته . وأن الإسلامَ لن ينتشرَ

إلا بهذه الأخلاق ، والصبر على جفوة الناس ، فلقد فتح صلى

اللهُ عليه وسلم الدنيا، وأثر في الخلائق بسبب ما حمّله من هذه

السمات، وما تحلى به من صفاتٍ وشمائلٍ !..

فيا ليت لنا من هذه الأخلاق التي تستوعب الجميع، وتعفو

وتصفح، تهجر الغضب الا لله تعالى ، وقد جاء في الحديث عن

عائشة رضي الله عنه: قالت: (ما خيّر رسولُ الله صلى الله عليه

وسلم بين أمرين، إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان

إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ بِهَا).

ولها : (مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ).

وصلوا وسلّموا يا مسلمون على النبي الأعظم ، والرسول الأكرم...

٢٣ / عاين الحق ولكن خشي العار:

الحمدُ لله على نعمة الهداية ، والشكرُ له على ما أولانا من طيبِ
العناية ، بسطَ لنا النعم ، ودفعَ عنا النقم ، وآتانا من كل ما سألناه ،
فالحمدُ لله على ذلك كثيرًا .. كثيرًا ...

أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهدُ أن محمدًا عبده
ورسوله ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا...
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ
إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ
أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ .

أيها الناس :

ما أطيبَ حلاوة الهداية ، وما ألدَّ أفانين التوحيدِ والعبودية ، فانتَ

لله، لست لبشر ولا لحجر ولا لشهوات...!

وَمَنْ يُحْرِمِ الْهَدَايَةَ فَقَدْ حُرِّمَ خَيْرًا كَثِيرًا... وَمِنْ هَؤُلَاءِ شَخْصِيَّةٌ
تَارِيخِيَّةٌ ، عَاشَتْ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، بَلْ أَسْهَمَتْ
فِي حِمَايَتِهِ وَالِدْفَاعِ عَنْهُ ، وَرَأَى دَلَائِلَ النَّبُوَّةِ ، وَجَمَالِيَّاتِ الرِّسَالَةِ ،
وَلَكِنَّهُ جُبْنٌ وَخَافَ الْعَارَ...!!

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ** * مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَنَا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارِ مَسْبِيَّةٍ ** * لَوْجَدْتَنِي سَمَحًا بِذَلِكَ مُبِينًا
وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ ** * حَتَّى أَوْسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاظَةٌ ** * وَابْشُرْ بِذَلِكَ وَقَرَّ مِنْهُ عَيْونَا



نعم هو عمُّه أبو طالب بن عبد المطلب، الدرْعُ المساند،
والصارمُ الضاربُ في وجوه المشركين ..! قصةٌ مفرحةٌ حزينة،
... ومؤلمة ... فقد رأى علاماتِ النبوةِ، ولكنه اختارَ الوثنيةِ ،
وملةَ عبدِ المطلب، وتراثَ الآباءِ والأجداد ...!

جاء في الصحيح عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، أنه
قال للنبي صلى الله عليه وسلم سائلا ومندهشا ، وحزينا على
أخيه : مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ
لَكَ ... قَالَ : (هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ ، وَلَوْ لَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ
الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) . **والضحضاحُ معناه: أي: موضع قريب القعرِ**
خَفِيفِ العذابِ .

وفي حديث آخر في الصحيحين : سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ، عَنْ أَبِيهِ
وهو يصف لحظات الاحتضار ، ومجيء رسول الله ، مع وجود
قرناء السوء ..! قَالَ : لَمَّا حَضَرْتُ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةَ جَاءَهُ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي
أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَا عَمَّ ،
قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ " . فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ ،
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ : يَا أَبَا طَالِبٍ ، أَتَرَعْبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ،
فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْزِضُهَا عَلَيْهِ ، وَيُعِيدُ لَهُ
تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ : هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ
الْمُطَّلِبِ . وَأَبَى أَنْ يَقُولَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُكِرْهُ ، فَانزَلْ

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا
لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ
أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ
لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } .

وهنا دروس ووقفات:

الاولى : أن الهداية بيد الله، والأنوار تقذف في القلب من جهته
تبارك وتعالى كما قال: (إنك لا تهدي من أحببت). فكم لديك
من احبة وأصدقاء لم تستطع عليهم، وليس لك من سلطان سوى
النصح والذكرى !!..

والثانية : أنّ علينا البلاغ والدلالة، وما نملكه من وسائل وطرق

محببة، ومطورة، ولكننا لا نملك مفتاح القلوب، فهي بيد

الرحمن يقلبها كيف يشاء كما صحت بذلك الأحاديث .

والثالثة : حرصُ رسولِ الله على عمه ومحبته له، وحفظه لجميله،

ولذلك دعاه وكرره، وجاءه في لحظات الختام، لعله يتعظُّ

بساعات الموت، وقدم المنية، وشيخوخة العمر...!

ولكنه للأسف أصغى للكافرين، واحتفى بملة الشرك

والوثنية... وهل أغنت عنهم شيئاً، وقد هُزموا وجاعوا، ورأوا

الآياتِ الإلهية تغشاهم في كل مكان...!

والرابعة : خطرُ رفقةِ السوء، وحرصُهم على الضلالة وتعميق

الانحراف حتى في الساعات الأخيرة من الدنيا . وفي ذلك درسٌ

في اختيار الأصدقاء والأصفياء ، الذين يجالسونك ، ويأتونك في

ساعاتِ النصبِ والمرضِ ...! والمرءُ على دينِ خليله...!

والخامسةُ : فضلُ التوحيدِ وقولِ لا إلهَ إلا اللهُ ، وفضلُ الختامِ

عليه ، وأن الجنةَ للموحدين ، ومحرمَةُ على المشركين ، كما قال

تعالى : (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ

لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) سورة المائدة .

ولا خسرانَ أعظمَ من ذهابِ الجنةِ ، وسكنى النارِ ، عيادا بالله من

ذلك....

اللهم وفقنا لتقائك ، واجعل عملنا في رضاك ...

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين... .

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على رسول الله، وعلى آله وصحبه
وَمَنْ وَالَاه....

وبعد :

من أجل دروسِ القصةِ يا مسلمون أيضًا : أن لا محاباةَ في الحق ،
ولا مجاملةَ وقد سطعت النصوصُ وأشرفت شمسُ الرسالة،
وطمست هُبلاً واللات والعزى ... تُليّ القرآن ، وجاء بالبينات ،
وانشق القمر ، ووقع الإسراءُ والمعراج وشبهها ..! فماذا بعد..
(لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا) سورة الكهف .

وليس ثمة دليلٌ على صحة تلك الأوثان ، أو أنها تعي وتتكلم ،
وتنفعُ وتضر، فكيف يُصغى لها...؟!!

ومن الدروس: أنّ من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه، فكونه عمّ رسول الله، والوجيه المشهور لم تغن عنه من الله شيئاً، وأن القرابة لا تجدي ما لم تُكتب لك الهداية من الله.. (**إنك لا تهدي من أحببت**).

ومنها: حرمة الاستغفار للمشركين، إذا ماتوا على الشرك، واستحبوا العمى على الهدى.. (**من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم**). ولذلك قال: " **أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ** " .

ومنها: وجوب الوقوف عند النصوص، وامتنال الآيات والتوجيهات، كما صنع رسول الله عليه الصلاة والسلام، وعرف به الفاروق عمر رضي الله عنه، والمستجيبون لله ورسوله...

وهذا منهجٌ رفيعٌ علينا أن نتخلّق به في حياتنا.. وكثيرٌ منا يخوضُ في دنياه، ويشتغل، ويباشر أشياءَ مختلفة، وإذا ذُكِرَ بآيةٍ أو حديث، اختبرَ إيمانه، وفُحِصَت استجابته، فيحارُ بين دينه وهواه... والمؤمن من هؤلاء يسارعُ إلى الحق دون مريّة، وسيعوضه الله، ولو كان شيئاً عظيماً، والله المستعان.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد...

٢٤ صفات فاتح خير:

الحمدُ لله وحده ، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده ، وهزم

الأحزاب وحده.... والحمد لله ، نصر المستضعفين ، وأخزى

الكافرين ، وأتم نعمته على عباده المؤمنين....

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده

ورسوله ، صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين....

أما بعد :

إخوة الإسلام :

قد تتأخرُ بعضُ الانتصارات والفتوحات بسببِ نقصانِ مقدماتٍ

معينة، ولذلك تهَمَّ صلى الله عليه وسلم لفتح خير سنة سبع من

الهجرة ، وكان لليهود دورٌ خياني تجاه يومِ الأحزاب ، ولم يكفوا

عن مسلك التحريضِ والخيانة ، فعزمَ على فتحها وتأديبِ
سكانها من اليهود... فانطلق إليها بجيشه المؤمن الصبور،
فحاصرها أيامًا ، وكانوا قد تزودوا بالزاد والعتاد....

جاء في الصحيحين عن سهلِ بنِ سعدٍ رضي اللهُ عنه، أنَّ رَسُولَ
اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَحِبُّ
اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَيَحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ " . قَالَ :
فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ ، أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ
غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ
يُعْطَاهَا ، فَقَالَ : " أَيُّنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ " . فَقَالُوا : يَشْتَكِي
عَيْنَيْهِ يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : " فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ ، فَأَتُونِي بِهِ " .

فَلَمَّا جَاءَ بَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ، حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ
وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى
يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: " أَنْفُذْ عَلَيَّ رِسَالِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ
ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَحِبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ،
فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ
حُمْرُ النَّعَمِ).

وفي حديث آخر في الصحيح: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الصُّبْحَ بِغَلَسٍ، ثُمَّ رَكِبَ
فَقَالَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ
الْمُنْذَرِينَ ". فَخَرَجُوا يَسْعَوْنَ فِي السَّكِّ وَيَقُولُونَ: مُحَمَّدٌ
وَالْخَمِيْسُ - قَالَ: وَالْخَمِيْسُ الْجَيْشُ - فَظَهَرَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَتَلَ الْمُقَاتِلَةَ، وَسَبَى الذَّرَارِيَّ، فَصَارَتْ

صَفِيَّةٌ لِدُخِيَّةِ الْكَلْبِيِّ وَصَارَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ
تَزَوَّجَهَا وَجَعَلَ صَدَاقَهَا عِتْقَهَا).

وهنا معاشر أهل الاسلام : دروس مهمة منها :

أولاً: أن غزوة خيبر كانت من المغنم الكثيرة الموعود بها
المؤمنين بعد الحديبية، وفتحها يعني القضاء على موضع الدس
والتآمر اليهودي .

وثانياً: أن القيادة العسكرية إنما يحملها الصادقون المحبون لله
ورسوله، علاوة على تمكنهم العسكري والقيادي .

وثالثاً: مكرمة لعلي رضي الله حيث اختير على جمهرة الصحابة ،
ومن تشوق لها، حتى إن عمر قال : (والله ما تمنيت الإمارة إلا
يومئذ). وقد أبلى علي بلاءً حسناً، وخرج لمبارزة مرحب

اليهودي ، فَقَالَ مَرَحِبٌ : قَدْ عَلِمْتُ خَيْرٌ أَنِّي مَرَحِبٌ .. شَاكِي
السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبٌ .. إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ .. فَقَالَ عَلِيٌّ :
أَنَا الَّذِي سَمَّنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ .. كَلَيْثِ غَابَاتِ كَرِيهِ الْمَنْظَرِ
أَوْ فِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ قَالَ : فَضْرَبَ رَأْسَ مَرَحِبٍ ، فَقَتَلَهُ ،
ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ .

رابعاً: أن محبة الله ورسوله سببٌ للفتح والتوفيق وتسهيل
الأمور، واندفاع البليات.

وخامساً: صدقُ نبوةِ رسولِ الله، وظهورُ علاماتِ ذلك من تحقق
النصر ، وتشافي علي من الرمد ، وهو مرضٌ يصيب العين .

وسادساً: جُبِنُ اليهودِ وهلعُهُم الدائم ، وأنهم لا يقاتلون إلا من
وراء جُدُرٍ منيعة ، وحصونٍ محصنة، كما قال تعالى: (لَا
يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ۗ بِأَسْهُمٍ

بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ۗ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا
يَعْقِلُونَ . (سورة الحشر .

وسابعًا: أن الدعوة إلى الإسلام ، قبل الجهاد والمنازلة ، وفي ذلك

من التسامح والرحمة والحرص على الهداية ما لا يخفى !..

وثامنًا: استثارة القائد همم طلابه وجنوده ، بحيث يرتقون ،

وتلتهب عزائمهم ، ويشتد تنافسهم... (وفي ذلك فليتنافس

المتنافسون) .

اللهم آتِ نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها

ومولاها... .

أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين

فاستغفروه وتوبوا إليه... .

الحمدُ لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين ،
وصلَّى الله وسلم على سيد الأولين والآخِرين ، وعلى آله
وصحبه أجمعين....

وبعد :

وفي خيبر يا مسلمون: تجلّت عظمة القيادة النبوية ، وحزمتها
العسكري، وحسن إدارتها للأزمة ، وانظر إلى دخوله عقيب
صلاة الصبح وقوله: " الله أكبرُ خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة
قوم فساء صباح المنذرين"

لأنهم خرجوا في مساحيهم ومكاتلهم.. ففيه دعاء، أو الإخبار
بهلاكهم...! وفي ذلك من هزم المعنويات وقهرها الشيء الكثير

وأما التكبير، فلأنه ذكرٌ ماثور عند كل أمرٍ مهول، وعند كلِّ
حادثٍ سرور...!

ومن الدروس: فضلُ الدعوة وهداية الآخرين، وأنه خير من
نفائس الأموال، وزخارف المدخرات، كالإبل الحُمُر
المحبوبة عند الناس، فكيف بمن جعل الدارة أكبر همه ويؤثر في
مئات من الخلائق، نسأل الله من فضله ..

(فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ
حُمْرُ النَّعَمِ). وهذا من أعظم الدوافع إلى الدعوة إلى الله،
واحتمال متاعها، والتلذذ بمشاقها، فكلُّ من أثرت فيه صار
رصيداً لك في حسناتك يوم القيامة.

ومنها : أن محاربة الحق والتصدي لجند الله عاقبته مؤلّمة وخيمة، لأن من يغالب الله يُغلب ، ولذلك قال: " إنا إذا نزلنا بساحة قوم ، فساء صباح المنذرين... أي فبئس ذلك اليوم يومهم ودمارهم ، فهو شرُّ يومٍ وأقبح صباح ، والله المستعان .

وصلوا وسلّموا يا مسلمون على الرحمة المهداة والنعمة

المسداة...

٢٥ / القائد الكبير واللعاعة:

الحمدُ لله الذي ملأ قلوبَ عبادهِ بمحبةِ الآخرة ، وإيثارها على الدنيا

الباهرة ، فسَعوا إليها سعي الخيولِ النافرة ، والنفوسِ الطائرة ..

نحمدُه سبحانه ونشكرُه ، ومن كل ذنبٍ نستغفره....

ونشهدُ أن لا إلهَ الا اللهُ وحده لا شريك له ، ونشهدُ أن محمدا عبده

ورسوله ، صلى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ...

أما بعد:

أيها الناس :

ما لمعت زخارفُ المال عند إنسانٍ إلا جذبته ، ولا صوتت

الجواهر لدى ذي أذنينٍ إلا تشوف لها ، وعلق بها غناه ومستقبله

ومصيره...! إلا فئةً من الناس تعلقت قلوبُهم بالله ، وهانت

عندهم الأموال والجواهر، وعاشوا لأهداف سامية، ومقاصد
جليلة ..

أَيْنَ الْأَكْسِرَةِ الْجَبَابِرَةُ الْأَلَى ** كَنَزُوا الْكُنُوزَ فَمَا بَقِينَ وَلَا بَقُوا
مِن كُلِّ مَنْ ضَاقَ الْفِضَاءُ بِجَيْشِهِ ** حَتَّى تَوَى فَحَوَاهُ لِحَدِّ ضَيْقُ
وَالْمَوْتُ آتٍ وَالنُّفُوسُ نَفَائِسُ ** وَالْمُسْتَعْرِ بِمَا لَدَيْهِ الْأَحْمَقُ



ومن هؤلاء نماذج سامية ، يبقِيهم اللهُ قَدَوَاتٍ لَنَا عِبْرَ التَّارِيخِ ،
فِيَنْظُرُونَ لَهَا نَظْرَةَ الْعَاقِلِ لِلْعَاعَةِ يَتَأَلَّفُ بِهَا النَّاسُ ، وَيَكْسِبُ
وَدَّهْمَ ، وَيَجْذِبُهُمْ إِلَى دِينِهِ وَمِبَادئِهِ ... وَمِنْهُمْ رَسُولُنَا الْمَقْدَّمُ ،
وَالنَّبِيُّ الْأَكْرَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ... ثَرَوَاتُ حَنِينِ الضَّخْمَةِ
وَهَبَهَا لِلْمُؤَلِّفَةِ قُلُوبَهُمْ ، وَتَعَامَلُ مَعَهَا وَكَأَنَّهَا شَيْءٌ يَسِيرٌ مِنْ

الدنيا كلعاعة متبقية، لا تسمنُ ولا تغني .. جاء في المسند
وبعضها في الصحيحين ، **عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،**
قَالَ : لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ
الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا
شَيْءٌ ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمْ
الْقَالَةُ ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ : لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَوْمَهُ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ هَذَا
الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفِيءِ
الَّذِي أَصَبْتَ ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ
الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ . قَالَ : " فَأَيْنَ
أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ ؟ " قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَنَا إِلَّا أَمْرٌ مِنْ

قَوْمِي، وَمَا أَنَا؟ قَالَ: "فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَضِيرَةِ".
قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَضِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ
رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ،
فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ، فَقَالَ: قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ
الْأَنْصَارِ. قَالَ: فَاتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَمِدَ
اللَّهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ،
مَا قَالَهُ بَلَّغْتَنِي عَنْكُمْ؟ وَجِدَّةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ؟ أَلَمْ آتِكُمْ
ضَلَالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلْفَ اللَّهُ بَيْنَ
قُلُوبِكُمْ؟" قَالُوا: بَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ وَأَفْضَلُ. قَالَ: "أَلَا
تُحِبُّونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟" قَالُوا: وَبِمَاذَا نُحِبُّكَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْأَمْنُ وَالْفَضْلُ؟ قَالَ: "أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ

لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصَدَّقْتُمْ : أَتَيْتَنَا مُكَذِّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخَذُوا لَنَا
فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَأَوْيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَأَسَيْنَاكَ. أَوْجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ
يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُغَاةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفَتْ بِهَا قَوْمًا لِيُسَلِّمُوا،
وَوَكَلْتُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ
يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي رِحَالِكُمْ ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ لَا الْهِجْرَةُ
لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ
شِعْبًا، لَسَلَكَتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ
الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ " . قَالَ : فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا
لِحَاهُمْ ، وَقَالُوا : رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا . ثُمَّ انْصَرَفَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقْنَا .

وهنا إخواني الكرام :

دروسٌ وعبرٌ ، جديرٌ بنا وقد سمعناها أن نتعلمَ منها ، ومن ذلك :

أولاً: هوانُ الدنيا في عين رسول الله وأتباعه الصادقين ، الذين

جعلوا من متاعها قرباتٍ الى الله، وقناطرَ تنفعهم يوم لا ينفع مال

ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم...!

وثانياً: ذكاءُ رسول الله الدعوي والاستراتيجي في توظيف المال

لكسب مئات من زعماء العرب وسادتهم ، حتى قال قائلهم:

أسلموا فإن محمداً يُعطي عطاءً من لا يخشى الفقر...!!

وثالثاً: تسميته كلِّ تلك الأموال الوفيرة "**لعاعةً**" ، ليعلمنا

حقارة الدنيا، وعدم بقائها ، وأن لا نتقاتلَ عليها، أو تكون قضيتنا

الأولى ، ومن دعائه الصحيح الجميل : (اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همًّا ولا مبلغ علمنا).

ورابعًا: قوة المال وتأثيره في قلب المبادئ ، واحتواء أشدهم غطرسةً ، وأعظمهم كبراً وعنادا ...

وخامسًا: عِظْمُ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَفَضْلُهُمْ ، حَيْثُ وَكَلَهُمْ إِلَى إِيْمَانِهِمْ وَصَدَقَهُمْ ، وَانضَمَّ لِحَزْبِهِمْ وَشِعْبِهِمْ وَمَدِينَتِهِمْ .

وسادسًا : أَنْ مَنَّةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِالْهُدَايَةِ تَفُوقُ كُلَّ جَهْدٍ بَدَلُوهُ ، وَكُلِّ سَعْيٍ نَصَرُوهُ ، فَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ ، وَلَنْ تُضَاهَى نِعْمَةُ الْهُدَايَةِ وَالْإِسْلَامِ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِ الدُّنْيَا .

(بَلِ اللّٰهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) سُورَةُ

الْحَجَرَاتِ .

اللَّهُمَّ آتِ نَفُوسَنَا تَقْوَاهَا ، وَزَكَّهَا أَنْتَ خَيْرَ مَنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيهَا

وَمَوْلَاهَا ..

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ ...

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على خاتمِ النبيين ،
وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.....

وبعد :

ومن الدروس أيضا يا مسلمون: مراعاةُ القائدِ لأحوالِ أصحابه
والتهمم بهم، وأن الصلحاءَ مهما بلغوا من الإيمان فلا زالت
الدنيا تُغريهم بطريفها وجديدها وبهيجها ، وضعف المرءِ أمام
زينتهُ الدنيا .

ومنها : التحابُّ الإيماني العظيم بين رسولِ الله والأنصار ،
وتغليبهم لهذه الرابطة على روابطِ المال والمصلحة والدنيا .
وجعلهم شعارًا وشعبًا ، وقال هم " كَرشي وعَيْتي " أي بطانتي
وخاصتي . ودعا لهم بالغفران ولأجيالهم اللاحقة

ومنها: حفظُ رسولِ الله تعالى لجميلهم السابق من الإيواء
والنصرة والإغناء والمؤازرة .. **أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ
وَصَدَّقْتُمْ : أَتَيْتَنَا مُكْذِبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخَذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا
فَأَوْيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَاسَيْنَاكَ..!**

ومنها: محاورَةُ القَائِدِ لِأَصْحَابِهِ ، وإيضاحِ الأسبابِ التي جعلتهم
يستنكرونَ بعضَ اجتهادهِ وحكمته، وسعةِ صدره في سماعِ
شكاويهم ..!

وفي القصة: أن الخطابَ الصادقَ المقنعَ، الكاشفَ للحقيقة ،
سببٌ للتأثر والقبول ، فلم يكن جوابَ القومِ، إلا أن بللوا لحاهم
بالدموع ...!!

وفي القصة أيضاً : أنّ الحظَّ الحقيقي ، والمغنمَ الكبير في الظفرِ
بالمجد النبوي ، والصحبةِ الهاشمية التي تسمو على كلِّ مالٍ ،
وتفوقُ كلَّ شرفٍ ، وتتعلَّى على كلِّ ذَهَبٍ ودُرٍّ...!
فلئن عادَ الناسُ بالأموال والبِعران ، فلقد عدُّتم برسولِ الله إلى
بيوتكم ومجالسِكُم ، تأنسونَ بقربه ، وتطربونَ بحديثه...
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد...

٢٦ / حِرْزُ الْأَمِيينِ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ أَنْفُسِنَا ،
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا
هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ

أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ

فَوْزًا عَظِيمًا)

أما بعد:

أيها المؤمنون :

إنما تعبدون الله ربكم ، من بوابة المصطفى عليه الصلاة

والسلام، فتقتفون سنته، وتسالون عن هديه، وتعرفون على

صفاته، فهو مفتاح الهداية من الله، وسنته مادة النصر، ورسالته
الحرز المتين، والحصن الثمين... جعل الله في دعوته عزنا
وملاذنا وانتصارنا... واختار سنته لتكون نورنا وهدايتنا،
وموضع فخرنا وعلائنا. بها نعبده، وندرك شرعته، ونصيب
جنته سبحانه وتعالى.

جاء في صحيح البخاري رحمه الله : عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ رَحِمَهُ اللهُ
، قَالَ : لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ
: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَةِ.
قَالَ : أَجَلٌ، وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ
: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا
لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمِيْتُكَ الْمُتَوَكَّلُ، لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا
غَلِيظٍ، وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ

يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوَجَاءَ ؛ بِأَنْ
يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا، وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا
غُلْفًا " .

وهنا وقفاتٌ روائعٌ من هذا الوصف الجميل للمصطفى الكريم
عليه الصلاة والسلام :

أولها : أن هذا الوصفَ الجميلَ محفوظٌ له ومعروفٌ في كتب
الأولين كال�ورة والإنجيل ، وكان عبد الله بن عمرو يعتني بذلك
ويطالع صفاته عليه الصلاة والسلام، وقد قارن ذلك بالقرآن
فوجده صحيحًا . وفي القرآن : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا
وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦)
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) وَلَا تُطِيعِ

الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعَّ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ
وَكَيْلًا) سورة الأحزاب .

وثانيها : كونه شاهدا : لمن آمن من أمته بالتصديق، وشاهدا لربه
بالوحدانية ، وعلى مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ بالتكذيب، أو شاهدا للرسول
قبله بالبلاغ .

وثالثها : ومبشرا : فهو رسولُ البشري، وصاحبُ الفرحة
الكبرى، بشر أمته بالجنان، وقلدهم منازل السعادة، وبوأهم
حدائق السرور .

ورابعها : ونذيرا : فهو البشيرُ النذير .. وهذا جليُّ في هديه
وخطبه ومواعظه، حذّرنا المعاصي ، وأنذرنا النار وسعيرها

ودر كاتها.. (فأنذرتكم نارًا تُلظي) . وقال في حديث الصفا: (فإني

نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد).

وخامسها : أنه حِرْزُ الأَمِينِ ، وحصنهم المكين ، وحنفيظهم من

كلِّ بلايا الدهر ، ومن تسلط الأعداء ، ما دام فيهم ، بما آتاه الله من

قوةٍ ومعجزات ، وبما يملكُ من سنن ودلائل ، وقد صح قوله

صلى الله عليه وسلم : (نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ) فكان

يكفي غالبَ أعدائه ، رعبٌ يخالط قلوبهم فيقهرهم ، ويهزيمهم

شرَّ هزيمة ...

وقال هرقل في حديث أبي سفيان المشهور : " فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ

حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ

أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ ، لَتَجَشَّمْتُ

لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ " .فَرَدَّ أَبُو سَفْيَانَ: لَقَدْ
أَمَرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ-أَيِ عَظْمٍ- إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ .
وسابعاها : أنه عبدُ اللهِ ورسوله: فليس هو بِإِلَهٍ يُدْعَى، ولا
مخلوق خارق له الأفلاك والأملك ، وقد قال : (أ جعلتني لله نداً
، ما شاء الله وحده) .. وقال في حديثٍ آخر: (لا تَطْرُونِي كَمَا
أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا : عَبْدُ اللَّهِ
ورسولُهُ).

اللهم أحيينا على الإسلام والسنة ، وتوفنا وأنت راضٍ عنا...
أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين ...

الحمدُ لله وحده، والصلاةُ والسلامُ على من لا نبيَ بعده، نبينا
محمدٌ وعلى آله وصحبه أجمعين...

وبعد:

أيها الإخوة الفضلاء :

ومن الوقفات هنا أيضًا:

تسميته المتوكل : أي على الله خالقه ورازقه، الذي ضمنَ رزقه
وأجله ، فهو متوكلٌ راضٍ قنوع بما آتاه الله، ولو كان يسيرًا ،
وصبوراً على ما يلقي في هذه الحياة . وما أحوَجنا أهلَ الإسلام
إلى توكلٍ صادق، وإيمانٍ عميق ... (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ

حَسْبُهُ) سورة الطلاق .

وقال عليه الصلاة والسلام: (لو أنكم توكلون على الله حق

توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً).

أي شباعا.

ومنها: أنه ليس بفظٍ ولا غليظ: وهي الرحمة الآسرة، والرافةُ

التي خطف بها القلوب، وجعلت الجميع يحبه، ويتعلق بصفاته،

ويدخل دينه... (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظًا

الْقَلْبِ) سورة آل عمران .

ولما بال الأعرابي في المسجد نهره الناس ، فزجرهم رسول الله

عليه الصلاة والسلام... وقال: (مه مه لا تُزرموه أي تقطعوه،

وأريقوا على بوله سجلاً من ماء). ثم علّم الرجل بالحسنى .

ومن صفاته عليه الصلاة والسلام: أنه ليس سخابًا بالأسواق: أي ليس مخاصما ولا مزعجًا بصوته، بل رفيقا رحيما لطيفا، سمحا في معاملاته .

ومنها: ولا يدفع السيئة بالسيئة: بل يدفع بالحسنى، ويتكلم بالفضلى، كما أمره تعالى: (ادفع بالتي هي أحسن) سورة فصلت .

ويشهد لذلك مواقف عديدة منها: **أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَقَاضَاهُ، فَأَغْلَظَ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " دَعُوهُ ؛ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا " . ثُمَّ قَالَ: " أَعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ " . قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ. فَقَالَ: " أَعْطُوهُ ؛ فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً " .**

ومن صفاته : يعفو ويصفح : وقد عفا عن مشركي مكة ، العفو العظيم (اذهبوا فأنتم الطلقاء) .

ومنها أيضًا : يقيمُ اللهُ به الملة العوجاء : أي الشرك فهي معوجةُ الفكر والسلوك ، فيعلن التوحيد ، ويطهرُ الله به الأرض من كلِّ موروثات الجاهلية العمياء . ويشيعُ في الناس : لا إلهَ إلا اللهُ ، كلمة الحق والهدى ، ومفتاح الجنة والندى ، .. (قولوا لا إلهَ إلا اللهُ تفلحوا) .

وكان لهذه الإقامة وهذا التصحيح آثاره البهيجةُ ، ففتح اللهُ به أَعْيُنًا عُمَيَّا ، وَأَذَانًا صُمًّا ، وَقُلُوبًا غُلْفًا ... ومنهم صحابته الفضلاء ، الذين أنارَ لهم دروبَ الحياة ...

وكسادات مكة الذين حاربوه ، وزعامات كانت تسخط عليه ،
ورؤوس كانت تحرض عليه .. وخذ مثالا أبا سفيان بن حرب ،
وثمامة بن أثال القائل: " يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ، مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ
أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهِكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا
إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ
أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ .

فعودا عباد الله إلى سيرته ، وتعلموا من هديه وشمائله ... (وإنك

لعلی خلقٍ عظیم) سورة القلم .

وصلوا وسلّموا يا مسلمون... .

٢٧ / الدَّورُ الْخِيَانِيُّ لِلْمَنَافِقِينَ:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ،
وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا .

أما بعد:

معاشرَ أهل الإسلام:

ثمة طائفةٌ تعيش بين أظهرنا، مُصَلِّينَ متصدقينَ، وباسمينَ ، ولا
نعرف حقيقتهم...! وهؤلاء تآذى منهم رسول الله كثيرًا، وقد

اصطلى منهم الإسلام في مواطنٍ معروفة... وكان منهمجهم
التخذيل والخيانة، والكذب والتحريض... (إِذَا جَاءَكَ
الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ
يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) سورة المنافقون .

نعم هم طائفة المنافقين، العدو الخفي، والخنجر المستتر،
والطابور الخامس... لو تأملتم شرهم في السيرة، لاندھشتم من
ضخامة الأحقاد، وصبر الرسول المختار عليه الصلاة
والسلام...!

ولذلك هم لم ينتهوا،... لم يزالوا في طيات التاريخ، يخرجون
في كل زمان ومرحلة، وفي ذكرهم في القرآن والسيرة تنبيه لنا على
خطرهم، ووجوب الحذر منهم ومن مكرهم.... (ومكروا مكراً
ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون). سورة النمل .

ولهم مواقفٌ مخزيةٌ عبر تاريخ الدعوة الإسلامية كما جلّتها

السيرة النبوية...!

ففي غزوة بدر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، غشي

مجلسًا فيه أخلط من الناس يدعوهم، وتلا عليهم

القرآن... فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولَ: أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنَّهُ لَا

أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ، إِنْ كَانَ حَقًّا فَلَا تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا ارْجِعْ إِلَى

رَحْلِكَ، فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى

يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاغْشِنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا؛ فَإِنَّا نَحِبُّ ذَلِكَ. فَاسْتَبَّ

الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ، وَالْيَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَشَاوَرُونَ، فَلَمْ يَزَلِ

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَنُوا... فَلَمَّا غَزَا

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدْرًا، فَقَتَلَ اللَّهُ بِهِ صِنَادِيدَ كُفَّارِ

قُرَيْشٍ قَالَ ابْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولَ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَعَبْدَةَ
الْأَوْثَانَ : هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ فَبَايَعُوا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَى الْإِسْلَامِ . فَأَسْلَمُوا .

وفي غزوة أحد : تَمَرَّدَ رَأْسُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سَلُولَ، فَانْسَحَبَ
بِنَحْوِ ثَلَاثِ الْعَسْكَرِ - ثَلَاثِمِائَةَ مَقَاتِلٍ - قَائِلًا: مَا نَدْرِي عِلَامَ نَقْتُلُ
أَنْفُسَنَا؟ وَحِجَّتْهُ فِي ذَلِكَ بِأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ
رَأْيَهُ، وَأَطَاعَ غَيْرَهُ مِنَ الْوَالِدَانِ.. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: (وَلْيَعْلَمَ
الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا
لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ
يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ).
سورة آل عمران .

وفي الخندق : قال تعالى: (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم

مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً } الأحزاب: ١٢ .

وفي موقفٍ آخر : يستعلنُ بعداوتِه ونفاقه : فعن زيد بن أرقم

رضي الله عنه ، قال : كُنْتُ فِي غَزَاةٍ ، فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي

يُقُولُ : لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُضُوا مِنْ حَوْلِهِ ،

وَلَيْنَ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ ، لِيُخْرِجَنَّ الْأَعْرَضُ مِنْهَا الْأَذَلَّ . فَذَكَرْتُ ذَلِكَ

لِعَمِّي - أَوْ لِعَمْرَ - فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَعَانِي ،

فَحَدَّثْتُهُ ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ

أَبِي وَأَصْحَابِهِ ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا ، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ ، وَصَدَّقَهُ ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ ، فَجَلَسْتُ فِي

الْبَيْتِ ، فَقَالَ لِي عَمِّي : مَا أَرَدْتَ إِلَيَّ أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَقَّتَكَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : { إِذَا جَاءَكَ

الْمُنَافِقُونَ}. فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَرَأَ : فَقَالَ :
" إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدٌ " .

وكان ظهوره زمن رسول الله في المدينة ، عَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عنه قَالَ : إِنَّمَا كَانَ النَّفَاقُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّمَا هُوَ الْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيمَانِ .

ولا يتركون موقفاً طيباً إلا خذلوا فيه ونقدوه ، فعن أَبِي مَسْعُودٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ كُنَّا نُحَامِلُ ، فَجَاءَ رَجُلٌ
فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ ، فَقَالُوا : مُرَائِي . وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ ،
فَقَالُوا : إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعٍ هَذَا . فَنَزَلَتْ : { الَّذِينَ يَلْمِزُونَ
الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا
جُهْدَهُمْ } . الْآيَةُ

وَفِي قِصَّةِ الْإِفْكَ فِي إِحْدَى الْغَزَوَاتِ : أَتَهَمْتَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِالْفَاحِشَةِ ، وَطَعَنَ فِي عَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ... وَتَوَلَّى مَعْظَمَ ذَلِكَ وَكَبِيرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي .. **وَفِي الْقِصَّةِ** : فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعَذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ابْنِ سَلُولَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ يَعْدِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَّغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي ؟ - أَيُّ مَنْ يَنْصُرُنِي وَيُنْصِفُنِي - فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا ، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا ، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي " . فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا وَاللَّهِ أَعْدِرُكَ مِنْهُ ، إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ .

وَإِذَا تَأَمَّلْتُمْ هَذِهِ الْمَوَاقِفَ يَا مُسْلِمُونَ :

ظهر لكم خبثهم وفساد طويتهم، وحرصهم على هدم الإسلام
أكثر من الكفار الأصليين ، لذا وجب التوقي منهم، وأخذ الحيطة
الدائمة ، فهم معولٌ هدمٍ في جدار الإسلام ، وأرضةٌ مخفأة تنهشُ
في أساسه ، وروائحٌ كريهة تكدرُ صفوه وجماله...!

(مُذْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ
فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا)..

اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وألستنا من الكذب، وأعيننا من
الخيانة، إنك تعلمُ خائنة الأعين وما تخفي الصدور...
أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين،
فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنه الغفور الرحيم ...

حمداً لله على توفيقه، وشكراً له على عونه وتسديده، وأصلي
وأسلم على عبده ورسوله ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أهل
حبه وتوقيره

وبعد :

أيها الإخوة الكرام:

هؤلاء هم المنافقون ، وتلك مواقفهم ومخازيهم التاريخية ضد
الإسلام ورسوله الكريم، وصحابته الأخيار ، وهنا وقفاتٌ
ودروس معينة :

أولها: أنهم مندسون في الصف، ملتحمون في المجتمع،
ويظهرون خلاف ما يبطنون ، وقد كان رأسهم ابن سلول يخطبُ
كل جمعة .، " قال العلماء :يقول: أيها الناس هذا رسول الله

صلى الله عليه وسلم بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به ،
فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ، ثم يجلس حتى إذا صنع
يوم أحد ما صنع ، يعني مرجعه بثلاث الجيش ورجع الناس ، قام
يفعل ذلك كما كان يفعله.. فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه
وقالوا : اجلس أي عدو الله لست لذلك بأهل !.. وقد صنعت ما
صنعت ...! فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما
قلتُ بجرا ، أن قمتُ أشدد أمره ..! فلقيه رجال من الأنصار
بباب المسجد فقالوا ويلك مالك؟ قال : قمت أشدد أمره ،
فوثب علي رجالٌ من أصحابه يجذبونني ويعنفونني ، لكأنما
قلتُ بجرا أن قمتُ أشدد أمره ...! قالوا : ويلك ارجع يستغفر

لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ..! قال : والله ما أبتغي أن
يستغفر لي...!

لا خَيْرَ فِي وُدِّ امْرِئٍ مُتَمَلِّقٍ ** حَلْوِ اللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ
يَلْقَاكَ يَحْلِفُ أَنَّهُ بِكَ وَائِقٌ ** وَإِذَا تَوَارَى مِنْكَ فَهُوَ الْعُقْرَبُ
يُعْطِيكَ مِنْ طَرْفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةَ ** وَيُرْوَعُ مِنْكَ كَمَا يُرْوَعُ الثَّلَبُ

وثانيها : ديدنهم الكذب والخيانة والحلف زورا وميناً، وغايتهم
مؤازرة الكافرين على أهل الإسلام.

ثالثها : سوء أدبهم مع رسول الله وتناولهم في مواقف عديدة ،
وقد صبر عليهم حكمةً ولطفًا ، وقال : (لا يتحدث الناس أن
محمدًا يقتل أصحابه) وأجراهم على الظاهر ووكّل سرائرهم
إلى الله تعالى .

رابعها: جنبُّهم من المعارك وهلعهم في مواطن كثيرة، فهم يحبون الحياة كاليهود، ولم يكن رأيهم في أحد البقاء في المدينة ذكاءً وحصافةً، وإنما جنباً وارتعاباً.

وخامسها: إثارتهم الفتن والضغائن في الصف الإسلامي، وحرصهم الشديد على التخذيل والتفتيت، كما صنعوا في أحد، انسحبوا بثلاث الجيش، وفي الخندق أغروا بعض القبائل بالعودة، وكان القرآن يكشفهم، ويحبط مكائدهم، حتى كاد يسميهم، بل أنزل فيهم سورة كاشفة فاضحة، عُرِفَتْ "بسورة التوبة، وسورة المنافقون"، ومواقع متعددة من كتاب الله...! فلا يوثقُ بهم وقد قال الله فيهم.. (هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) سورة المنافقون .

وصلوا وسلّموا يا مسلمون...

٢٨ / طعامُ أهلِ الخندق:

الحمدُ لله رب العالمين ، نصيرِ أهل الإيمان ، وهازمِ أهلِ الشرك
والطغيان ، أكرمنا بالسنة والقرآن ، وأفاض علينا بالنعمة الحسان ،
نحمده على نعمه ونشكره ، ونتوب إليه من ذنوبنا ونستغفره
ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدًا عبده
ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد:

فاتقوا الله يا مسلمون ، وتأملوا أحوالكم ، وراجعوا حساباتكم ،
واستعدوا ليومِ المعاد .. (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ
أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ، فَأَصَّدَّقَ
وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ) سورة التغابن .

وهنا قصة مشهورة ، تصف لنا طعام أهل الخندق في السنة الخامسة ، وكيف استضافهم جابر رضي الله على عناق شاة، وخبز شعير ... ولترك جابرا يقصُّ القصة بعجائبها....

يقول رضي الله عنه، : **إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضْتُ كُدْيَةً شَدِيدَةً، فَجَاءُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا : هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضْتُ فِي الْخَنْدَقِ. فَقَالَ : " أَنَا نَازِلٌ " . ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِعْوَلَ ، فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيرًا أَهْيَلًا ، أَوْ أَهْيَمَ -أي رملاً سَائِحًا- ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ . فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي : رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرًا، فَعِنْدَكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ : عِنْدِي شَعِيرٌ، وَعَنَاقٌ . فَذَبَحَتْ**

الْعَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ ، ثُمَّ جِئْتُ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ ، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ
الْأَثَافِيِّ-اي الحجارة- قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ : طَعِيمٌ لِي
فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ، أَوْ رَجُلَانِ. قَالَ : " كَمْ هُوَ ؟ "
فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ : " كَثِيرٌ طَيِّبٌ ". قَالَ : " قُلْ لَهَا : لَا تَنْزِعِ
الْبُرْمَةَ، وَلَا الْخُبْزَ مِنَ التَّنُورِ حَتَّى آتِي ". فَقَالَ : " قُومُوا ". فَقَامَ
الْمُهَاجِرُونَ، وَالْأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ : وَيْحَكَ، جَاءَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ مَعَهُمْ.
قَالَتْ : هَلْ سَأَلَكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ. فَقَالَ : " ادْخُلُوا، وَلَا تَصَاغَطُوا
". فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ
وَالْتَّنُورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ، ثُمَّ يَنْزِعُ فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ

الْخُبْزَ، وَيَعْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا، وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: "كُلِّي هَذَا،
وَأَهْدِي؛ فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ". أَخْرَجَاهُ.

وفي رواية عند مسلم: (وَهُمْ أَلْفٌ فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَأَكْلُوا حَتَّى تَرَكَوهُ،
وَأَنْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَتَنَا).

وهنا معاشرَ أهلِ الإسلامِ عدد من الدروس :

أولها: عمومُ الفقر في المجتمع الإسلامي الأول، وصعوبةُ الحياة
التي عاشها رسولُ الله والجيل الفريد.. ولكنهم لم يسخطوا أو
يتضجروا، بل صبروا وثابروا في هذه الحياة..

وثانيها : صحةُ نبوة رسول الله وصدق منهجه ، فهو النبي المؤيدُ،
والرسول المصدق بالآيات والمعجزات .

وثالثها: فضلُ جابرٍ رضي الله عنه وسخاوةُ نفسه، ومحبتَه
لرسول الله عليه الصلاة والسلام، حيث كان منزله مشهداً لهذا
الإعجاز الكبير .

ورابعاً: فضلُ الطعام المبارك من الله ورسوله ، واستحبابُ
الدعاءِ عليه ، وأنَّ القليلَ تكثَّره البركةُ، وقد صحَّ من دعائه
(وبارك لنا فيما أعطيت).

وخامساً: صدقُ الاستجابة لله ورسوله فقد عملوا وحفروا بلا
طعام ولا ذواق أياماً ، وكان بعضهم عاصبا الحجارة على
بطونهم من الجوع .

وسادساً: استحبابُ الاجتماع على الطعام، وأن يرحمَ بعضنا
بعضاً ، وأنَّ يدَ الله مع الجماعة، لا سيما عند الشدائدِ

والمضرات. قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي

تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا أَشْتَكَى عَضْوًا

تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى).

اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها

ومولاها

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين ...

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً ، كما يحبُّ ربنا ويرضى ،
وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين ...

اما بعد:

أيها الأخيار الكرام :

جودوا بما آتاكم الله ، وتعلّموا من جابر رضي الله عنه وكرمه ،
وسخائه ، وتخيّلوا... لقد فازَ بالمكرمة ، وأكل من طعامه
المحدود ، قرابة ألف مسلم ، كانوا على شفير الخندق يحفرونه
، ويتهيؤون لمعركة خطيرة... !

ومن دروسِ القصة : استحبابُ الإطعام والإهداء ، وإكرام الناس ،

لا سيما جيرانك وقرابتك ، قال في الحديث : (ما زال جبريل

يوصيني بالجار ، حتى ظننتُ أنه سيورثه).

ومنها : تواضع رسول الله ومشاركته صحابته العمل والطعام.

ومنها : أن للأزمات رجالات يقومون بها، ويهتمون بحال إخوانهم ، ولا يستأثرون بالنعمة .

ومن الدروس أيضا : صلاح زوجته وكمال عقلها وهي سهيلة

بنت مسعود الأنصارية رضي الله عنها ، ففي بعض الروايات

سلمت للأمر لما علمت بقدوم رسول الله ومعرفته للطعام

المرصود " قال : فلقيتُ من الحياء ما لا يعلمه إلا الله عز وجل

وقلتُ : جاء الخلقُ على صاع من شعير وعناق ، فدخلتُ على

امرأتي أقول : افتضحْتُ ، جاءك رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالخندق أجمعين . فقالت : هل كان سألَكَ كم طعامك ؟ فقلتُ :

نعم. فقالت: اللهُ ورسولهُ أعلم، ونحن قد أخبرناه بما عندنا،

فكشفتُ عني غمًا شديدًا".

وهكذا تكونُ المرأةُ الصالحة ، المؤمنة بصدق الرسالة خضوعا

وتسليما ، وأن الله لا يقضي لأهل الإيمان إلا خيرا...

وصلوا وسلّموا يا مسلمون على النبي الأعظم والرسول الأكرم ،

نبينا محمد...

٢٩ / شخصية رسول الله:

اللهم لك الحمدُ كُلُّهُ ، ولك الملكُ كُلُّهُ ، وبِيدِكَ الخيرُ كُلُّهُ ، وإِليك

يرجعُ الأمرُ ، كُلُّهُ علانيتهُ وسرُّهُ ، فأهلُّ أن تُحمدَ ، وأهلُّ أن أنت أن

تُعبَدَ ، وأنت على كلِّ شيءٍ قديرٌ

أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له ، وأشهدُ أن محمداً عبدهُ

ورسوله ، صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ...

أما بعد:

إخوة الإسلام :

يرومُّ كثيرونَ التعرفَ على الشخصية النبوية، وكيف كان سلوكُ

رسول الله، وتعامله مع الناس، وهدْيُه في الثواب والعقاب ...

وهل يغضبُ مثلنا...؟

وما الذي كان يشدُّ عليه في حياته أو يحتفي به...؟!!

وهنا تحكي عائشةُ أم المؤمنين رضي الله عنها شيئاً من تلك

الشخصية العظيمة، وذلك النموذج الخلفي الفريد ...

تقول كما في الصحيحين: " مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا

كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُتْهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا " .

وهنا وقفاتٌ مهمة من هذا النص الرائع:

الأولى: أن شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم رفيقةٌ

رحيمة، ما خير بين أمرين من أمور الدنيا، أحدهما متشدد،

والآخر رفيق، إلا اختار أيسرهما وأطيهما، متباعد دائماً عن

العنف والشدة ، كما قال : (بالمؤمنين رؤوف رحيم) سورة التوبة . و اذا جرَّ ذلك المباح إلى الإثم والحرام ، تورع عنه .

والثانية : تباعده عن الآثام والمحرمات ، وكيف لداعيةٍ أو مؤمن صالح أن يخوض في الحرام وقد استبان له ، ولو كان من الشبهات... ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ..!

والثالثة : محبته لليسر والتخفيف على الناس... وقد صحَّ قوله : (إنما بُعثت بالحنيفية السمحة) وما سئل عن شيءٍ قدم أو أُخِّرَ في الحج إلا قال : (افعِل ولا حرج) . وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يأنف ، ولا يستنكف أن يمشي مع الأرملة والمسكين ، فيقضي لهما حاجتهم .

والرابعة : الغضبُ لله وحرماته ، وليس لذاته وحظوظه.. (وَمَا

أَنْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُتْهَكَ حُرْمَةٌ

اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا).

وهذه منزلةٌ رفيعةٌ، أن تكون مغاضبنا لله، وليس لمصالحنا ،

تتمعرُّ الوجوه للحرمان ، وليس للرجبة والشهوات .. عفا عن

أهل مكة وقد آذوه، وعن الأعراب وقد لاموه، وعن الجفافة وقد

شددوا عليه ..!.....!

ومن القصص في ذلك : قصة الأعرابي التي يحكيها جابر بن عبد

الله رضي الله عنهما، أنه غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم

فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاة ، فتفرق الناس في العضاة

يستظلون بالشجر، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم تحت شجرة

فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ ثُمَّ نَامَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِهِ،
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي، فَقَالَ:
مَنْ يَمْنَعُكَ؟ قُلْتُ: اللَّهُ. فَشَامَ السَّيْفَ، فَهِيَ هُوَ ذَا جَالِسٍ". ثُمَّ لَمْ
يُعَاقِبْهُ. وفي القرآن: (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)
سورة الزخرف .

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت،
واصرف عنا سيئها، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت ، إنك على كل
شيء قدير...

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين ،
فاستغفروه وتوبوا اليه ، إنه هو الغفور الرحيم...

الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه

ومن والاه...

وبعد :

أيها الإخوة الفضلاء :

فماذا نتعلم من هذا الحديث ، وكيف نحقق الاستفادة منه...؟!

ولعل من أجلّ الفوائد هنا: أخذ الحياة برفق ويسر ، وتجنبُ

الشخصية المتشنجة الغضوبية ، التي تتكلم بغلظه ، وتجبُ

بفضاضة، وتنهرُ المسكين ، وتعنفُ العامل ، وتقلبُ شكلها في

كل موقفٍ ومناسبة... فمن سيصادقها حينئذ .. ومن سيصبرُ

على مجالستها وحديثها....

وايُّ الله أمثال هؤلاء لا يجدون صاحباً ولا صديقاً، وإذا رامَ
السفرَ غابَ الرفيق، وإذا نزلت به مصيبة لم يجد مؤازراً ولا
مساعداً... إذا عظمَ المطلوبُ قلَّ المساعدُ...

والمسبب في كل ذلك: شخصيته الفجة، وسلوكه العنيف...!
وقد غاب عنه.. أن الخلق الحسن بابٌ إلى الجنة، ومفتاحُ
قلوب الناس... أحسنُ إلى الناس تستعبدُ قلوبهم.. فلطالما
استعبد الإنسانَ إحساناً...!

ونتعلّمُ كذلك: التخفيفَ على الناس ومعاملتهم بالحسنى
والبشرى، فلا تعقيد ولا تعسير...! وبعضنا يشغل مثلاً مصالح
عامة لهم، ويتردد عليه أقوام، فاقض لهم حاجاتهم، واعمل

بالحنيفية السمحة، وتسامح قدر المستطاع، والله في عون العبد ما

كان العبد في عون أخيه.... وقال: (يسروا ولا تعسروا).

ونتعلمُ كذلك: أنَّ المؤمنَ الحقيقي هو من يغضبُ للحرَماتِ،

ويتحرك للشعائر وليس لماله أو وظيفته وبطنه... (ذلك ومن

يعظمُ شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) سورة الحج. وهذا هو

الغضبُ المحمود، والأجرُ المرصود...

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم

وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد

وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك

حميد مجيد....

اللهم أعزنا بطاعتك، ولا تذلنا بمعصيتك.....

اللهم احفظ بلادنا بالأمن والإيمان.....

اللهم وفقنا للأخلاق الحسان، واجعلنا من اتباع رسولك

المختارِ ...

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك.....

٣٠ / فنون تعليم الجاهل :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ
أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلِّ
فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ .

اما بعد :

معاشرَ أهلِ الإسلام:

كيف تصنعون إذا مررتم بجهال.. وكيف تعلمون من خفيت
عليه الشريعة، أو فاته التعليم، أو لا يدري الأحكام..

وإذا لامك كبيرٌ في السن، أو اعترض عليك متحمسٌ مندفع...؟!!

ما العمل...؟!!

هنا عندنا منهاجٌ نبوي في السيرة النبوية .. ومعالم تربوية تبينُ

كيف تعاملَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع تلك الطائفة،

ومن قلَّ علمها، أو ضعفَ وعيها...!!

ونقصُ اليوم ثلاثة مواقف ، تُرينا كيف وجه صلى الله عليه وسلم

ثلاثة أخطاء ، وتعاملَ معها، بما فيه خيرها واحتواؤها...!

واستطاع ان يجعلها في صفه، وتتقبلَ توجيئه بصدرٍ رحب ...

جاء في الصحيحين : عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ

عنه قَالَ : بَيْنَا أَنَا أَصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ

عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ

بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ : وَاتَّكَلْتُ أُمَّيَاهُ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ ؟
فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَادِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي،
لَكِنِّي سَكَتُ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبِأَبِي
هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ
مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي. قَالَ : " إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا
يُصْلِحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ
وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ " - أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ
بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ. قَالَ : " فَلَا تَأْتِهِمْ " .

وفي حديث آخر : يحصل حادث في المسجد ، ويخطئ

أعرابي.... يقول أبو هريرة رضي الله عنه، إن أعرابياً بال في

الْمَسْجِدِ، فَتَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقْعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " دَعُوهُ وَأَهْرِيْقُوا عَلَيَّ بِوَلِيهِ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ - أَوْ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ - فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسَّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسَّرِينَ ".

وفي موقف ثالث: يأتي شاب مندفع، متعلق بالزنا والشهرة، ويريدُ إسلامًا مخلطًا، فيعلمه عليه الصلاة والسلام بالرفق والعقل... جاء في المسند عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: إِنَّ فَتَى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزَّنَى. فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ مَهْ. فَقَالَ: " اذْنُهُ ". فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لِأُمَّكَ؟ " قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفُتِحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ " قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ

اللَّهُ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ : " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ " . قَالَ :
: " أَفْتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ ؟ " . قَالَ : لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ :
" وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ " . قَالَ : " أَفْتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ " .
قَالَ : لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ : " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ
لِعَمَّاتِهِمْ " . قَالَ : " أَفْتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ ؟ " . قَالَ : لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي
اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ : " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ " . قَالَ : فَوَضَعَ
يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " .
قَالَ : فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ .

وهنا دروسٌ من أهمها:

اولا: الترفق بالجاهل، فهو بشر مثلنا، وما ينبغي استعراض
علمنا وحكمتنا عليه، بل نرحمه وترفق به، فالله رفيق يحبُّ

الرفق في الأمر كله ، ويعطي على الرفق، ما لا يعطي على العنف.. فالكلام في الصلاة محرمٌ تسميتا أو نحوه وما زاد أعظم ، ومع ذلك سامحه رسول الله ، وعلمه ان ذلك ليس من الصلاة ، والصلاة إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ " .

(فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) سورة آل عمران: ١٥٩ .

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، يا أرحم الراحمين،
وأكرم الأكرمين....

أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين.....

الحمدُ لله رب العالمين ولي الصالحين وخالق الخلق أجمعين ،
وأصلي وأسلم على من أرسله ربه رحمةً للعالمين ، وعلى آله
وصحبه أجمعين...

وبعد :

ومن دروسِ هذه المواقف يا مسلمون:

ثانيًا: اعترافٌ حقيقي ، وشهادةٌ للتاريخ ، أنه أحسنُ المعلمين ،
وخيرُ المربين.... والسببُ .. لا نَهَرَ ولا كَهَرَ ، ولا سَبَّ ولا
عَنَّفَ....

بل عالج بالفضلي ، وتكلم بالحسنى ، وداوى بالعليا ، وتلك
أخلاقٌ نفتقدها في معالجاتنا ومدارسنا...

إذا أخطأ بعضُ أبنائنا عنَّفنا وأغلظنا له القول ، وكم كنا نشاهد
قديمًا طردَ الصغار من المساجد وتوبيخهم... ولو تفكرنا لصبرنا
عليهم صبراً جميلاً ، وتألَّفناهم لحبِّ الصلاة والمسجد...!

وثالثاً: تغليبُ مصلحةِ الدعوة والإصلاح البعيد على الإصلاح
القريب ، ودفعُ الخطر الأعظم بارتكابِ الخطر الأصغر ، وأخفُّ
الضررين ، فإن تقذيرَ المسجد وخطأ الصلاة يندملان ، وأما
الجرحُ الدعوي والتربوي فلا يندمل ، وتبقى حرارته في النفس ،
ولذلك راعاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو المربي
الحكيم... وقال لأصحابه: **(فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا**

معسرين) فاليسرُ منهاجٌ عام ، متقلِّدٌ على كل الأحوال .

ورابعًا: أنَّ التعلِيمَ اللَّيِّنَ الرَّفِيقَ أَجْدَى مِنَ التعلِيمِ الصَّارِمِ الْغَلِيظِ،
عند جماهير الناس والتلاميذ .

وخامسًا: أنَّ الصلاة خشوعٌ وإخباتٌ وليست كلامًا والتفاتًا،
يناجي المؤمنُ فيها ربه تعالى، ويبث فيها شكواه وحاجته..

وسادسًا: وجوبُ تطهير المساجد وتعظيمها، وتجنبها كلَّ
صورِ القذر والإهمال، وقد أمرنا بتنظيفها وتطيبها.

وسابعًا: فضلُ التربية بالحسنى وأنَّ أثرها عظيمٌ، فمعاوية رضي
الله عنه قال: (ما رأيتُ معلمًا أحسنَ تعليمًا منه) والأعرابي قال:

اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا... .

فردَّ عليه الصلاة والسلام أيضًا بالرفق وقال: (لقد حَجَّرتُ
واسعًا) يقصد رحمة الله واسعة .

وثامناً: استخدامُ الرفق والخطاب العقلي مع الشاب المتشوف

للزنا، وقدرته عليه الصلاة والسلام في إقناعه بالحرمة ، من خلال

محاورته عقلياً ، وأنّ الناس يابونه في محارمهم ، فاقتنع الرجلُ ،

وزاده دعواتٍ صالحاتٍ ، بالغفران والتحصين والتطهير ، وما

أجملها من كلماتٍ عطرة ، ومن تعاملٍ مناسبٍ رقيق ، ...

فبأبي هو وأمي ما أعظمه من مُربٍ فهيم ، وما أجله من ناصحٍ

شفيق ...

وصلوا وسلّموا يا مسلمون ...

٨٣١ حديث الخيمة المشرق:

الحمد لله الذي جمّل أهل الإسلام بالأخلاق ، وجعل لرسولنا
محمدٍ منها النميرَ الرقراق ، وشرفه على بني آدم على الإطلاق...
نحمده ونشكره ، ومن كل ذنبٍ نستغفره ...
ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده
ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المحمودين بالآفاق ،
وسلم إلى يوم التلاق...

أما بعد:

معاشرَ المسلمين :

نعم هذا اليوم نستظلُّ بحديث الخيمة البهيج ، الذي أشرق
كلماته على محيّانا ، وملأت محاسنه أحياءنا ، وشعت قبساته
على بقاعنا...! وسارت نسّماته إلى أقاصي الدنيا.....

حديث "أمّ معبد التاريخي" ، ووصفها الشرفيُّ الكبير ، ونعتها الذهبي العميق ، الذي أبانَ وحصحصَ عن صفاتٍ في شخصه وشخصيته صَلَّى اللهُ عليه وسلم، لم يذكرها سواها ...!

ذكرت كتب السير:

أنها كانت امرأةً برزةً جلدةً تحبني بفناء القبة ، ثم تَسقي وتطعم فمرَّ عليها الركب المسافر ، فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروه منها ، فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك ، وكان القومُ مُرملين ، فنظر رسولُ الله عليه الصلاة والسلام إلى شاةٍ في جنب الخيمة فقال: " ما هذه الشاة يا أمّ معبد " قالت: شاةٌ خلفها الجهدُ عن الغنم . قال: " هل بها من لبن " . قالت: هي أجهدُ من ذلك ، قال: " أتأذنين لي أن أحلبها " . قالت: نعم بأبي أنت وأمي ، إن رأيتَ بها

حلبًا فاحلبها، فدعا بها رسولُ الله، فمسحَ بيده ضرعَها وسمى
الله، ودعا لها في شاتها، فتفاجت عليه ودرّت، ودعا بإناء يربضُ
الرهط، فحلب فيه ثجًّا حتى علاه البهاء - أي اللبن سائلًا
بهيجًا -، ثم سقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رَووا،
وشرب آخرهم، ثم أراحوا، ثم حلب ثانياً فيها بعد ذلك، حتى
ملا الإناء، ثم غادره عندها وباعها وارتحلوا عنها.
فقلما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا،
عجافًا هزالًا، مخهن قليل، فلما رأى أبو معبد اللبن، عجب
وقال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد ...

والشاة عازبٌ حيالٌ ولا حلوبٌ في البيت قالت: لا والله إلا أنه مر
بنا رجلٌ مبارك، من حاله كذا وكذا. قال: صفيه لي يا أم معبد،

فَقَالَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ تَصِفُهُ لِزَوْجِهَا :

"رَأَيْتُ رَجُلًا ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ، أَبْلَجُ (مَشْرُق) الْوَجْهَ حَسَنَ الْخَلْقِ، لَمْ تَعْبَهُ تُجَلَّةٌ (ضَخَامَةُ الْبَطْنِ) وَلَمْ تُزْرِبْ بِهِ صَعْلَةٌ (أَيِ صَغْرِ الرَّأْسِ) وَسِيمٌ قَسِيمٌ، فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ، وَفِي أَشْفَارِهِ وَطْفٌ (طَوِيلٌ شَعْرَ الْأَجْفَانِ)، وَفِي صَوْتِهِ صَحَلٌ (رَخِيمُ الصَّوْتِ) أَحْوَرٌ أَكْحَلٌ، أَزْجُ أَقْرَنٌ، شَدِيدٌ سَوَادِ الشَّعْرِ، فِي عُنُقِهِ سَطْحٌ (ارْتِفَاعٌ وَطَوِيلٌ) وَفِي لَحِيَّتِهِ كَثَافَةٌ، إِذَا صَمِتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ، وَإِذَا تَكَلَّمَ سَمَا وَعَلَاهُ الْبِهَاءُ، وَكَأَنَّ مِنْطَقَهُ خِرَزَاتٌ نَظْمٌ يَتَحَدَّرْنَ، حَلَوُ الْمَنْطِقِ، فَصْلٌ لَا نَزْرَ وَلَا هَذْرَ (لَا عِي فِيهِ وَلَا ثَرْتَرَةٌ فِي كَلَامِهِ)..

أَجْهَرُ النَّاسِ وَأَجْمَلُهُمْ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْلَاهُمْ وَأَحْسَنُهُمْ مِنْ قَرِيبٍ، رَبْعَةٌ (وَسَطٌ مَا بَيْنَ الطَّوِيلِ وَالْقَصْرِ) لَا تَشْنُوهُ (تُبْغِضُهُ) مِنْ طَوِيلِ

ولا تفتحه عينٌ (تحتقره) من قصر، غصنٌ بين غصنين، فهو أنضرُ الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفوذٌ (يسرع أصحابه في طاعته)، محشود (يحتشد الناس حوله) لا عابسٌ ولا مفند (غير مسفَه في الكلام) ".

قال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحابه ولأفعلن إن وجدتُ إلى ذلك سبيلاً.

وهذا القصة ثابتةٌ عند أهل العلم والسير، وفيها فوائد عظيمة منها:

أولاً: صحّة نبوته عليه الصلاة والسلام ، حيث دلت هذا المعجزاتُ على صدقه، وأنه نبيُّ ربِّ العالمين وخاتمُ الرسل أجمعين .

ثانياً: البركةُ المصاحبةُ له تأييداً من الله ، فلقد تبارك الطعامُ، وشفيت الشاةُ ، واستنارت الخيمةُ ، وأُطعمَ الجميعُ ، وصلاح الحالُ ، وانتشرت السعادةُ، في زمنٍ جدبٍ وجفافٍ ومسغبةٍ...

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ...!

وثالثاً: دقةُ وصفها ، وسرعةُ ملاحظتها لذلك الرجل المبارك ، وما أحدثه من تغيرات في خيمةٍ مشتتة ، وحُسن إكرامِ رسول الله لها، واندهاشها لخلقه وعناية أصحابه له...!

(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) سورة التوبة : ١٢٨ .

اللهم وفقنا للخيرات ، وجنبنا الغفلة والحسرات....

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين ...

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مَبَارَكًا فِيهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِينَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ

وبعد :

أيها الإخوة الكرام :

ومن فوائد القصة أيضًا: طيبُ شخصيته شكلاً وسلوكًا ، وقولا
وعملا، وتفاعلاً واتصالًا ، بحيثُ أن كل من جالسَه أحبَّه ،
وتمنَّى قربه والانتفاع بفضائله وخصاله .. (**وإنك لعلی خلق
عظیم**) .

ومنها : جمالُ خلقته التي جمَّله اللهُ بها ، فقد خلق اللهُ الإنسانَ في
أحسنِ تقويم ، وزاده هو حُسنا وجمالاََ خارقا...! وكما قال
حسانُ رضي اللهُ عنه :

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي ** وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ

خُلِقْتَ مَبْرَأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ ** كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

ومنها: لطافة كلامه وصمته ، وحسن سمته ونظراته ، بحيث تشعُّ

منه معاني الإيمان والتودد، والأدب والمكارم، وقد صح قوله

المشهور: (إنما بُعثتُ لأتممَ مكارمَ الأخلاق).

ومنها : محبة صحابته له ، واحتفاؤهم بكلامه وأمره ونهيه ، فهو

قائدهم ونيهم ، وأستاذهم ومنقذهم عليه الصلاة والسلام...

اللهم صل وسلم على النبي الأعظم والرسول الأكرم...

٣٢ / حديث الهجرة وبلوغ المدينة:

الحمد لله تعالى ، مكن لعباده، ونصر أوليائه، وثبت أصفياه،

والصلاة والسلام على خير رسله وأنبيائه.....

أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده

ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدا ...

(ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب).

اما بعد :

إخوة الإيمان :

أعظم رحلة في التاريخ ، غيرت العالم، وسطرت عهدًا مختلفًا ،

ومكنت لقومٍ مستضعفين، وأعلنت ولادة نور جديد، له معالمه

وحراسه وأجناده....

رحلةٌ خطيرة.. شقّت القفار، وتعرضت للأخطار، وجابت الليل والنهار، وهي تُطارِدُ من الأعداء، ويلاحقها طلابُ المال والمجد، ولكنَّ الله حفظهم وبلغهم بأمنهم ..
وهذه مقتطفاتٌ من وصفها، وما واجهوه من قلق، حتى بلغوا المنزل ...

جاء في صحيح البخاري رحمه الله : عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن أباه قال : يَا أَبَا بَكْرٍ، حَدِّثْنِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا حِينَ سَرَيْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ : نَعَمْ، أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَمِنَ الْغَدِ حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ ، وَخَلَا الطَّرِيقُ ، لَا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ، فَرَفَعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ، لَهَا ظِلٌّ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ،

فَنَزَلْنَا عِنْدَهُ، وَسَوَّيْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَانًا بِيَدَيَّ يَنَامُ عَلَيْهِ، وَبَسَطْتُ فِيهِ فَرْوَةً،

وَقُلْتُ: نَمَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ. فَنَامَ،

وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ مُقْبِلٍ بِغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ

يُرِيدُ مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا، - أَيِ الظلِّ وَالرَّاحَةِ - فَقُلْتُ: لِمَنْ

أَنْتَ يَا غَلَامُ؟ فَقَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ - أَوْ مَكَّةَ - قُلْتُ:

أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: أَفَتَحْلَبُ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَأَخَذَ

شَاةً، فَقُلْتُ: أَنْفُضِ الضَّرْعَ مِنَ التُّرَابِ وَالشَّعْرِ وَالْقَدَى..

قَالَ: فَحَلَبَ فِي فَعْبٍ كُثْبَةٍ مِنْ لَبَنٍ، وَمَعِيَ إِدَاوَةٌ، حَمَلْتُهَا لِلنَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْتَوِي مِنْهَا، يَشْرَبُ وَيَتَوَضَّأُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ، فَوَافَقْتُهُ حِينَ اسْتَيْقَظَ،

فَصَبَبْتُ مِنَ الْمَاءِ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَقُلْتُ : اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيْتُ، ثُمَّ قَالَ : " أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ ؟ "

قُلْتُ : بَلَى. قَالَ : فَارْتَحَلْنَا بَعْدَ مَا مَالَتِ الشَّمْسُ. وَاتَّبَعْنَا سُرَاقَةَ بَنِي مَالِكٍ فَقُلْتُ : أُتَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ : " { لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } ". فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَارْتَطَمَتْ بِهِ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا - أَرَى فِي جِلْدٍ مِنَ الْأَرْضِ. - فَقَالَ : إِنِّي أُرَاكُمْ قَدْ دَعَوْتُمْ عَلَيَّ، فَادْعُوا لِي، فَاللَّهُ لَكُمْ أَنْ أُرَدَّ عَنْكُمْ الطَّلَبَ. فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَجَا، فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ : كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا. فَلَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ. قَالَ : وَوَفَى لَنَا. الْحَدِيثُ .

فتأمل هنا : حفظَ الله لهم، وحرصَهم في التخفي وعظم توكلهم على ربهم ، وصعوبة الرحلة ، وقلّة الزاد، ومطاردة الفرسان لهم، وفشل سراقّة في الظفرِ بهم ، وسؤاله الأمانَ بعد الدعاء عليه، وتحوله مناصراً ومخذلاً عنهم ...

وفي الطريق أيضاً مرّوا على خيمة أمّ معبد الخزاعية ، فملأها ببركته، وشعّ النور فيها، وصلح حالهم وطعامهم ...

جزى الله ربّ العرش خيرَ جزائه * * * رفيقين حلا خيمتي أمّ معبدٍ

هما نزلا بالبر وارتحلا به * * * وأفلح من أمسى رفيق محمدٍ

وفي الطريق لقي النبيُّ صلى الله عليه وسلم أبا بريدة بن الحُصيب، وكان رئيسَ قومه، خرج في طلب النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر؛ رجاء أن يفوزَ بالمكافأة الكبيرة ، فكلّمه

وانشرح صدره للإسلام.. ولقي في الطريق الزبير، وهو في ركب من المسلمين، كانوا تجارا عائدین من الشام، فكساهم ثيابا بيضاء.... ثم في يوم الإثنين الثامن من ربيع، بلغوا (قباء)

قال أهل السير: وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة، فينتظرونه حتى يردّهم حرُّ الظهيرة، فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أوا إلى بيوتهم .. صعد رجلٌ من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك نفسه أن قال بأعلى صوته :

يا معاشرَ العرب، هذا جدُّكم الذي تنظرون -اي حظكم - وفي
رواية: يا بني قيلة.. جده للأنصار- ، فثار المسلمون إلى السلاح
فزعين مهتلين .

وكان يوماً سعيداً على الأنصار ، بل على البشرية جمعاء، حيث
نجاهم الله من مكرِ المشركين ، ومكّن لدينه، ونصر أوليائه ،
وبزغ فجرٌ جديد للدعوة وظهورها ، وسطوعِ راية الاسلام... والله
الحمدُ والمنة...! (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى
اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ
بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُشْرِكُونَ) . سورة التوبة (٣٢-٣٣)

اللهم انفعنا بهدي رسولك الكريم ، ووفقنا لاتباعه ، واقتفاء

سنته يا كريم ...

أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين ...

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَالصَّلَاةُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ...

وبعد :

وَصَلِّ الرِّكْبُ الْمَهَاجِرُ الْمَدِينَةَ يَا كِرَامَ : وَطَلِّعْتُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ،
وَالْأُمَّةَ مَسْرُورَةً ، مَبْتَهَجَةً ، اسْتَشَعَرْتَ الْفَضْلَ وَالْمَنَةَ مِنْ اللَّهِ
تَعَالَى ، وَقَدْ سَمِعُوا بِخُلُقِهِ ، وَجَاءَتْهُمْ صِفَاتُهُ وَأَحَادِيثُهُ ...
وَابْتَهَجَتْ الْأَرْضُ فَرِحًا ، وَتَرَاقَصَتِ النَّخِيلُ طَرْبًا ، وَاهْتَزَّتْ
النَّفُوسُ شَوْقًا ...

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : " وَسُمِعَتِ الْوَجِبَةُ وَالتَّكْبِيرُ فِي
بَنِي عَمْرٍو وَبَنِي عَوْفٍ ، وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ فَرِحًا بِقُدُومِهِ ، وَخَرَجُوا
لِلْقَائِهِ ، فَتَلَقَّوهُ وَحَيَّوهُ بِتَحِيَّةِ النَّبُوَّةِ ، فَأَحْدَقُوا بِهِ مُطِيفِينَ حَوْلَهُ ،

والسكينةُ تغشاه، والوحيُّ نزل عليه: فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ
وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ [التحریم: ٤] .

وكان يوماً مشهوداً زحفَ الناس فيه لاستقباله ، فنزل أولاً في بني
عمرو بن عوف، ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك
بقباء على كلثوم بن الهدم، ومكث علي بن أبي طالب بمكة
ثلاثاً، حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع، ثم
تبعه ماشياً حتى أدركه قبل دخوله المدينة

وكان يوماً تاريخياً أغرَّ، فقد كانت البيوت والسكك ترتجُّ
بأصوات التحميد والتقدیس، وكانت بنات الأنصار والولدان
تتغنى بهذه الأبيات فرحاً وسروراً ..

أَشْرَقَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا * * * مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ

وَجِبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا * * * مَا دَعَا اللَّهُ دَاعِ

أَيُّهَا الْمَبْعُوثُ فِينَا * * * جِئْتَ بِالْأَمْرِ الْمَطَاعِ



وان كان لم يثبت سندًا ، ولكنه مشهور تاريخيًا .

والأنصارُ إن لم يكونوا أصحاب ثروات طائلة ، إلا أن كلَّ واحدٍ

منهم كان يتمنى أن ينزلَ الرسولُ صلى الله عليه وسلم عليه ،

ويقولون: هَلُمَّ إِلَى الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ ، وَالسَّلَاحِ وَالْمَنْعَةِ ، فَكَانَ يَقُولُ

لَهُمْ : خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ ، حَتَّى بَرَكَتْ فِي مَوْضِعِ الْمَسْجِدِ

الْحَالِيِّ ، عِنْدَ أَخْوَالِهِ مِنْ بَنِي النَّجَارِ ، وَكَانَ يَرُومُ ذَلِكَ

وبدأت من جديد قصة الطائفة المؤمنة الممكنة، ديناً ودولة،
ومجدداً وفخاراً، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا
يعلمون .

وصلوا وسلّموا يا مسلمون على الرحمة المهداة ، والنعمة
المسداة... .

٣٣ / أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ :

ان الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ
يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) .

أما بعد :

معاشرَ المسلمين :

هل سمعتم بهذه العبارة (أشيروا علي أيها الناس) ...

نعم عبارةٌ اشتهرت في السيرة، وقاعدةٌ منهجية، وعاملٌ تربوي،
ورباطٌ اجتماعي، يقاربُ بين القائدِ وأصحابه، والمعلمِ
وتلاميذه، والأستاذِ وجلسه... قال تعالى: (وَأْمُرْهُمْ شُورَى
بَيْنَهُمْ) سورة الشورى .

وأمره ربُّه تعالى بذلك فاستجاب (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) سورة آل
عمران. فيا تُرى كيف تطبقنا لهذا المنهج، وهل تفعلت هذه
الخصلةُ في حياتنا.. يمرُّ بك أبٌ قد كبرِ أبناؤه وشابت لحاهم،
ولا يزال يحقر رأيهم، وصاحبٌ دائرة مستبدٌ بالقرار، ولا يُشركُ
موظفيه في الموقف..! ولذلك إذا ألمت بهم أزمة، لا يبالون به،
لأنه لا يشاورهم ولا يُشركهم القرار...!

بينما رسولنا الكريم عَلَّمنا خلافَ ذلك، وخذوا نماذجَ تاريخيةً
للسورى الحقيقية

في غزوة بدر : قال أنس رضي الله عنه إن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ " شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ : فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ،

فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ،

فَقَالَ : إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ

نُخِضَ بِهَا الْبَحْرَ لَأَخْضَنَاهَا،..". وأشار عليه في الموضع الحبابُ

بن المنذر ، واستمع إليه وأقره.. واستشارهم في الأسرى

ومصيرهم ، وهذا مشهورٌ معلوم !...

واستشارهم في "غزوة أحد" للخروج أو البقاء ، فأشار الشبابُ

بالخروج إليهم ، فنزل على رأيهم !...

وفي صلح الحديبية: قال عليه الصلاة والسلام: " أَشِيرُوا أَيُّهَا

النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرُونَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ، وَذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ

يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ الْبَيْتِ،... " .

وَشَاوَرَهُمْ "يَوْمَ الْخَنْدَقِ" فِي مُصَالِحَةِ الْأَحْزَابِ بِثَلَاثِ ثَمَارِ

الْمَدِينَةِ عَامِئِدٍ، فَأَبَى عَلَيْهِ ذَلِكَ السَّعْدَانُ: سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَسَعْدُ بْنُ

عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَتَرَكَ ذَلِكَ .

وفي "حادثة الإفك" قال: " أَمَّا بَعْدُ، أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أَنْاسِ أَبْنَاءِ

أَهْلِي -أَيِ اتِّهَمُوهُمْ- ، وَائِمُّ اللَّهُ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي مِنْ سُوءٍ

وَأَبْنُوهُمْ بِمَنْ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَطُّ، .. "

ويروى أنه شاور عليًا وأسامة في أمر أهله . ولم تزل الشورى منهج حكم وتواصلٍ بينه وبين الناس عليه الصلاة والسلام، وبها يكشف عقولهم ، ويستفيد من خبرتهم ، ويطيّب خواطرهم ..

وهنا دروسٌ في غاية الروعة والإفادة منها :

أولاً: قربُ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صحابته ، واحتياجه إليهم مشاركةً ودعمًا وتأييدًا.

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ ** هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي

فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مِرَّةٍ ** بَلَغَتْ مِنَ الْعَلِيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ

ثانيًا: تحقيقُ العقلِ الشوري الحواري ، وإشاعةُ معاني التواصل والحوار ، والتلاقي العلمي والفكري، فلا استبداد ولا استئثار، بل يُدانيهم ويؤانسهم ، وَعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَالضَّحَّاكِ

رحمهما الله قالاً: "مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ بِالْمُشَاوَرَةِ لِحَاجَةِ مِنْهُ
إِلَى رَأْيِهِمْ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُعَلِّمَهُمْ مَا فِي الْمُشَاوَرَةِ مِنَ الْفَضْلِ،
وَلِتَقْتَدِيَ بِهِ أُمَّتُهُ مِنْ بَعْدِهِ.."

وثالثاً: تحقيق الوحدة والتلاحم بين القائد وأتباعه، وأن المصير
واحد، والمسؤولية مشتركة .

ورابعاً: انتفاع الجميع بالثمرات المحروزة، أو تحملهم التبعات
الواقعة . (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)....

اللهم ألف بين القلوب، ووحد الصفوف ، وبارك في الجهود يا ذا
الجلال والإكرام...

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين ،
فاستغفروه وتوبوا إليه .. إنه هو التواب الرحيم ...

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ،
وعلى آله وصحبه أجمعين ...

وبعد :

وفي الشورى يا مُسلمونَ : إشعارُ الجميعِ بأهمية المكان والبقة
والدائرة والمنزل ، وأنكم شركاء متحدون ، ففيها تحقيقُ
للانتماء ، وتجذيرٌ للعناية، وتجنيدٌ للمخلصين المثابرين، وتقوية
للروابط .

ومن فوائدها: تواضعُ القائدِ والوالدِ لأبنائه وأصحابه، بحيث لا
يترفعُ عليهم، ويمنحهم وقته وعقله، ويسمعُ منهم عقولهم
وتوجهاتهم، ويتعرفُ على عاليهم من نازلهم، وجادهم من
هازلهم .

ومنها أيضًا: التعرفُ على طبقات مهجورة ومهملةٍ، مثل الشباب والفتيان ونساء البيوت .. والذي أشارَ على الحل الأسلم في **"صلح الحديبية"** مثلاً ، عندما أمرهم بالإحلال فما تحركوا ، هي أمُّ سلمة رضي الله عنها ، واستفيد من ذلك سدادُ رأي النساء أحياناً ، وأنَّ لسانَ الحال أبلغُ من لسان القول ...!!

ومنها : أن لا يستهينَ أحدٌ بعقل أحدٍ ، ولا يهونَ من رأي فلان أو علان ، فالله خلقنا وفاوتَ بين عقولنا وعلومنا ، وفَضَّلَ بعضنا على بعض ، وفي الحوار العقلي تحقيقٌ لحكمة الله في السبق والأفضلية ، وتعميقٌ للحمة والوحدة... (إنما المؤمنون إخوة).

وصلوا وسلّموا يا مسلمون على النبي الأعظم ، والرسول الأكرم...

٣٤ / أول عمل بعد الهجرة :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ
أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ
فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) .

أما بعد :

إخوة الإيمان :

وصل رسولكم الكريم عليه الصلاة والسلام ، المدينة ، وكان من

أول أعماله فيها بناء المسجد ... !

ذَلِكَ الْمَسْجِدَ الَّذِي آوَاهُمْ لِلْعِبَادَةِ، وَجَمَعَهُمْ لِلطَّاعَةِ، وَأَلَّفَ بَيْنَ

قُلُوبِهِمْ، وَجَمَعَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ وَالرِّشَادِ...!

فِيهِ تَدِينُوا لِلَّهِ، وَقَصِدُوهُ فِي أُمُورِهِمْ، وَصَلُّوا إِلَيْهِ مَخْبِتِينَ

خَاشِعِينَ... وَفِي الْمَسْجِدِ تَعَارَفُوا، وَزَكَّتْ نَفُوسُهُمْ، وَقَوَّيْتَ

حِبَالَهُمْ، وَاخْتَبَرْتَ إِيمَانَهُمْ وَثَبَاتَهُمْ... وَلِنَسْتَمِعَ إِلَى قِصَّةِ بِنَاءِ

الْمَسْجِدِ وَدُخُولِ الْمَدِينَةِ مِنْ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ :

جَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَنَزَلَ فِي عُلُوِّ الْمَدِينَةِ فِي

حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ : بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً،

ثُمَّ إِنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى مَلَائِئِكَةِ النَّجَّارِ، فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِينَ بِسُيُوفِهِمْ. قَالَ

: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ،

وَأَبُو بَكْرٍ رَدُّهُ، وَمَلَأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ حَتَّى أَلْقَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ .
قَالَ : فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي حَيْثُ أَدْرَكَتُهُ
الصَّلَاةُ، وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَ بِالْمَسْجِدِ . قَالَ :
فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَأِ بَنِي النَّجَّارِ، فَجَاءُوا، فَقَالَ : " يَا بَنِي النَّجَّارِ،
ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا " . قَالُوا : لَا وَاللَّهِ، لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى
اللَّهِ . قَالَ أَنَسٌ : فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ : كَانَ فِيهِ نَخْلٌ وَقُبُورُ الْمُشْرِكِينَ
وَحَرْبٌ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّخْلِ فُقِطِعَ،
وَبِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، وَبِالْحَرْبِ فَسُوِّتَتْ . قَالَ : فَصَفُّوا
النَّخْلَ قِبَلَةَ، وَجَعَلُوا عِضَادَتِيهِ حِجَارَةً . قَالَ : فَكَانُوا يَرْتَجِزُونَ،
وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَقُولُونَ :
اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ... فَانصُرِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ .

وهنا وقفاتٌ معاشَرَ أهلِ الإسلامِ في هذه القصة :

وأولاهَا: أنْ نزولَه أُولَا عليه الصلاة والسلام ، في بني عمرو بن عوف من الأوس وعند سيدهم كلثوم بن الهدم قدرَ أربعِ عشرةَ ليلةً ...

بورك الحَيُّ حَيُّكم يا بني * * عمرو بن عوفٍ ولا يزل ممطورا

كنتُ فيه الضيفَ الذي يغمُرُ * * الأنفَسَ والدُّورَ نعمةً وحبورا

وثانِيًا: فضلُ بني النجار وهم أخواله صل الله عليه وسلم، وبذلهم أرضَ المسجدِ محبةً ولرسوله (لا نطلبُ ثمنه إلا الى الله).

ورابعا : أن من نعمةِ الله علينا أن جعلَ الأرضَ لنا مسجداً وطهوراً ، فيصلي عليه السلام حيث أدركته الصلاةُ ، فعَلَ ذلك ، وسنّه لأمته ، فتصح في كل الأماكن إلا المقبرةَ والحمام...!

وخامسا: مشروعيةُ بناء المساجدِ وعمارة الأرضِ بذكر الله تعالى، وجواز نبش قبور المشركين وقلع الشجر للمصلحة والحاجة ، مثل ما حصل هنا .

وخامسًا: مشاركةُ القائدِ أصحابه في العمل ، وجواز الارتجاز بالشعر لبعث النشاط ، وحفز الأرواح ، وازهاب التعب والكلل.... كقولهم : "اللهم لا عَيْشَ إِلا عَيْشُ الآخرةِ فاغْفِرْ لِلأنصارِ والمُهَاجِرَةِ"

وكان يقول:

هذا الحِمَالُ لا حِمَالِ خَيْرِ * * هذا أَبْرُ رَبَّنَا وأَطْهَرُ

وكان ذلك مما يزيد نشاط أصحابه في العمل، حتى إن أحدهم

ليقول :

لئن قَعَدْنَا وَالنَّبِيَّ يَعْْمَلُ * * * لَذَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمَضَلُّ

اللهم أعنا على ذكرك ، وشكرك وحُسن عبادتك ...

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين ...

الحمدُ لله رب العالمين ، وأُصلي وأُسلم على عبده ورسوله ،
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

وبعد :

أيها الإخوة الكرام:

بني مسجدُ رسول الله بالبناء المتواضع المعروف في زمانهم،
وخلًا من أدوات الزينة والمباهاة ، ولكنه بنى جيلًا فريدا، وخرَّج
أمةً نادرة في دينها وخلقها وفهمها.....

ولم يكن موضع الصلاة والعبادة فقط، بل كان جامعةً علميةً
تربوية ، ومؤسسةً تقضي في شؤون الناس ومنافعهم، وديوانا
للشورى والمعضلات . من افتُقد سُئل عنه، ومن سافر
عُرف، ومن مرض عادوه...!

وفي المسجد راحتهم واجتماعهم ومسكنهم وقعودهم .

ويا ليتنا نجد دور المسجد في حياتنا ونتقل من المبالغة في

العمارة الحسية، ونعتني بالعمارة المعنوية ، ونجعله معهدًا

وجامعة لتخرج الحفاظ والعلماء والأعيان ، ونبتُ الناشئة نباتًا

حسنًا ، فيشع بالحلق، والدرس والفوائد ...!

وليس مساجد جميلة، ولكنها خاليةٌ من معاني العلم والدعوة

والتربية.... على حد قول القائل :

أرى التفكير أدركه خمولٌ *** ولم تبق العزائم في اشتعالِ

وأصبح وعظكم من غير نورٍ *** ولا سحرٍ يطلُّ من المقالِ

وجلجلة الأذان بكلِّ حيٍّ *** ولكن أين صوتٌ من بلالِ

منائرکم علّت في كلِّ ساحٍ *** ومسجدکم من العبّادِ خالي



ولا ريب أنّ جهودَ الوزارةِ عَظيمةً هذه الأيام في بلادنا المباركة ،
ولكن التقصير ينشأ من بعض طلاب العلم ، فلا يؤدون رسالتهم ،
أو يقومون بواجبهم دعوةً وإصلاحًا .. أصلح الله منا
الظاهر والباطن ، وجعلنا وإياكم هداةً مهتدين

وصلوا وسلّموا يا مسلمون...

١٣٥ / منتهى صناديد مكة:

الحمدُ لله شرح صدور أوليائه للإيمان ، ورفعهم بالقرآن ، وجعل
نهايتهم الجنان ، ولأعدائه لهيبَ النيران ، نحمدُه سبحانه ونشكرُه ،
ومن كل ذنبٍ نستغفره...

ونشهدُ ان لا إلهَ الا اللهُ وحده لا شريك له ، ونشهدُ أن محمدا عبده
ورسوله ، صلى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد

أيها الإخوة الكرام :

ما أقبحَ نهايةَ مَنْ رأى الحقَّ ، وعاین الأنوارَ ، ثم نكصَ عنها، ..!
وأثرَ الحياةَ الدنيا على الآخرة، واستحبَّ هواه على الهدى، وقدم

الزخارف على الحياة الباقية... (أولئك الذين اشتروا

الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين).

ومن هؤلاء كفارُ مكة، وقد بُعث رسولُ الله منهم، وعاشروه،

ورأوا صدقه وأمانته، وكشف لهم عن معجزاته، وشقَّ القمرَ

أمامهم... ولكنهم كذبوا وعاندوا، وقاتلوه وناصبوه العدا... .

ثم خرجوا إلى بدر عناداً واستكباراً، وقال لهم عتبة بن ربيعة: "

ارجعوا واعصبوها برأسي، وقولوا جبن عتبة".

ولكنهم عصوه وتمردوا على كلامه، وقاد التحريضَ ضده أبو

جهل...!

ولما حضروا بدرًا، والتهب الصراع هزمهم الله وولوا الدبر، وقتل
الصناديد الكبار، والمعاندون السادة، وقبرهم صلى الله عليه
وسلم في بئر خبيثة ببدر..!

جاء في الصحيحين عن أبي طلحة رضي الله عنه، أن نبي الله صلى
الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد
قريش فقتلوا في طوي من أطواء بدر حيث مضت، - أي البئر
المطوية بالحجارة فاسدة - . وكان إذا ظهر على قوم أقام
بالعرضة ثلاث ليالٍ، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته،
فشد عليها رحلها، ثم مشى، واتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى
ينطلق إلا لبعض حاجته. حتى قام على شفة الركي، فجعل
يناديهم بأسمائهم، وأسماء آبائهم: يا فلان بن فلان، ويا فلان بن

فَلَانٍ، أَيَسْرُكُمْ أَنِّكُمْ أَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا
رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، مَا تَكَلَّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ
لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ". قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمْ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ
تَوْبِيحًا، وَتَصْغِيرًا، وَنَقِيمَةً، وَحَسْرَةً، وَنَدَمًا.

فتأملوا يا مسلمون :

سوءَ نهايةِ كلِّ فاجرٍ ومستكبرٍ، أبصرَ الهدايةَ، ولكنه طَمَسَهَا
بألوانِ الضلالاتِ ، التي قدمها على الحقائق والبيانات ، وكان
قريباً منها يا للأسف... لا سيما من كان من أهلِكَ

وجماعتك... ولذلك يُروى قال لهم : يا أهل القليب بئس عشيرةُ

النبى صلى الله عليه وسلم كنتم، كذبتُموني وصدَّقني الناس "

وتذكروا أن هؤلاء كان لهم سابقةٌ سيئة ، تجاهَ رسول الله

والإسلام ، وكيف حاربوه ، وسخروا منه ، وألجاؤوه وأصحابه

للهِجْرةِ الى الحبشة ثم المدينة، ... وحرمت مكة ذلك الخيرَ

العظيم ، والمجدَّ المتين

ولم تتحرك عقولهم لما يرون ، وما تكلم عاقلٌ إلا نقدوه

ورفضوه، وشدوا عليه ... وكان يتلى القرآنُ في مكة، ويتصنَّتون

ليلاً على رسول الله، فيعجبونَ من جماله وحلاوته ، ولكنهم

يأبون الإسلام...

وقالوا: (أ جعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب)

سورة ص .

وجاءت بدر .. ورأى بعضهم تصرعهم وعدم تكافؤ

الغزوة، وأن ثمة أسرارًا فيها ومددًا من الله، فما اتعظوا...!

واتعظ الحارثُ بن هشام المخزومي أخو أبي جهل، وخرج منها

هاربًا، فعيره حسان رضي الله عنه :

إِنْ كُنْتَ كَاذِبَ الَّذِي حَدَّثَنِي * * * فَنَجَوْتُ مَنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ

تَرَكَ الْأَجِبَةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ * * * وَنَجَابِرَ أَسِ طِمْرَةَ وَوَلَجَامِ

فأجابه الحارث :

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكَتُ قِتَالَهُمْ * * * حَتَّى رَمَوْا فَرَسِي بِأَشْقَرِ مُزَيْدِ

فَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أُقَاتِلَ وَاحِدًا * * * أَقْتُلُ وَلَا يَبْكِي عَدُوِّي مَشْهَدِي

فَفَرَرْتُ عَنْهُمْ وَالْأَحَبَّةُ فِيهِمْ ** طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُّفْسِدٍ



ويقال: إِنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الْإِعْتِذَارِ مِنَ الْفِرَارِ .

قال بعضهم: ثم شهد أحدًا مشرکًا حتى أسلم يوم فتح مكة، ثم

حسن إسلامه. وخرج الحارث في زمن عمر بأهله وماله من مكة

إلى الشام، فتبعه أهل مكة، فقال: لو استبدلت بكم دارًا بدار ما

أردت بكم بدلًا ، ولكنها النقلة إلى الله، فلم يزل مجاهدًا بالشام

حتى ختم الله له بخير .

فهذا عقلٌ راجح ، نجا بنفسه ، ولم يكابر ، ولما سنحت فرصة

الهداية ، لم يؤخرها ، وقد تجلّت له الدلائل ...!!

اللهم انا نسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى....

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين....

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على رسول الله، وعلى اله وصحبه
ومن والاه....

وبعد :

أيها الإخوةُ الأعزاء:

وقول الراوي هنا: صناديدُ قريش: أي سادتها وشجعانها،

ولكنها لم تغن عنهم شيئاً ، فلا حيَّ الله سيادةً على ضلالة، أو

شجاعةً في باطل... ولو عقلوا السَّخَّرُوا تلك النعم في طاعة

الله...!

وفي القصة: استحبابُ مواراة الكفار التراب، ودفنهم ، ليس

لكرامتهم...! ، ولكن حتى لا تنتن الأرض من جثثهم، ولذلك

سحبهم صلَّى الله عليه وسلم في طويٍّ وبئرٍ معروفة.

وحتى يظهر عزة الإسلام، والغلبة كان صلى الله عليه وسلم يقيم في المكان ثلاثة أيام . وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله : إنما كان يقيم ليظهر تأثير الغلبة وتنفيذ الأحكام ، وقلّة الاحتفال ، فكأنه يقول : من كانت فيه قوة منكم فليرجع إلينا . وقيل : يحتمل أن يكون المراد أن تقع ضيافة الأرض التي وقعت فيها المعاصي ، بإيقاع الطاعة فيها بذكر الله ، وإظهار شعائر المسلمين .

وفي الحديث : بيان قدرة الله بإحياء الموتى ، ليسمعوا كلام رسول الله نعمةً وتحقيراً ، لتعظم مصيبتهم، ولذلك قال لعمر رضي الله عنه: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُحْيُوا** ."

وصلوا وسلّموا يا مسلمون على الرحمة المهداة ، والنعمة

المسداة... .

٣٦ / كتاباته الدعوية وإعلان الإسلام دولياً:

ان الحمد لله نَحْمَدُهُ ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذُ بالله
من شرورِ أنفسنا ، ومن سيئاتِ أعمالنا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ،
وَمَنْ يُضِلِّ اللهُ فلا هَادِيَ له ، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ،
وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله .

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ).

أما بعد :

معاشرَ المسلمين :

لم يكنِ الإسلامُ وهو الدينُ العظيمُ خاصًّا بالعربِ ، أو منوطًا
ببقعةٍ محددة ، بل كان للناس جميعا ، وجعله اللهُ رحمةً وهدايةً
للبشرية جمعاء .

قال تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين) سورة الانبياء.

وقال سبحانه : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) سورة الأعراف.

ولذلك كتب صلى الله عليه وسلم إلى عظماء الأرض

والزعامات المشهورة ، ليبينَ لهم الحق ، ويدعوهم إلى

الإسلام، ويستنقذهم من الضلالة والظلمات...! وكان ذلك

بمثابة الإعلان العالمي للإسلام ، وأنه كلمة الحق الباقية في

الأرض ، وأنه رسول الله للناس كافة، ومن خصائصه: (وكان

النبيُّ يبعثُ إلى قومه خاصةً ، وبعثتُ إلى الناس كافة) .

جاء في صحيح مسلم رحمه الله ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ نَبِيَّ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَيَّ كِسْرَى، وَإِلَى قَيْصَرَ، وَإِلَى

النَّجَاشِيِّ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ
بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومنها كتابته إلى "هرقل" عظيم الروم : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ مُحَمَّدٍ - عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ - إِلَى هِرَقْلَ - عَظِيمِ الرُّومِ - سَلَامٌ

عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ ،

أَسْلِمَ تَسْلَمَ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ

الْأَرِيسِيِّينَ وَ : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ

دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } ."

وكتب الى كسرى عظيم فارس : عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بِكِتَابِهِ رَجُلًا، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى

عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ
مَرْزَقَهُ، فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلُّ مُمَزَّقٍ.

وكذلك كتب رسول الله محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى
المنذر بن ساوى ملك البحرين، وكان المنذر تابعاً لدولة
المجوس في فارس:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ- إِلَى الْمَنْذِرِ بْنِ سَاوَى، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدَى، أَمَا
بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَسْلَمَ تَسْلَمَ يَجْعَلُ اللَّهُ لَكَ مَا
تَحْتَ يَدَيْكَ، وَأَعْلَمُ أَنَّ دِينِي سَيُظْهِرُ إِلَى مَتْنَهَى الْخُفِّ
وَالْحَافِرِ".

وَكُتِبَ رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى جَيْفَرٍ وَعَبْدِ
(صَاحِبِي عُمَانَ): "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ
اللَّهِ إِلَى جَيْفَرَ وَعَبْدِ ابْنِي الْجُلَنْدِيِّ: سَلَامٌ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى،
أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمًا تَسْلَمًا فَإِنِّي رَسُولُ
اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، لِأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَيَّ
الْكَافِرِينَ، فَإِنَّكُمْ إِنِ أَقْرَرْتُمْ بِالْإِسْلَامِ وَلَيْتُكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ أَنْ تُقْرَأَ
بِالْإِسْلَامِ فَإِنَّ مُلْكَكُمْ زَائِلٌ عَنْكُمْ، وَخَيْلِي تَحُلُّ بِسَاحَتِكُمْ
وَتَظْهَرُ نُبُوتِي عَلَيَّ مُلْكِكُمْ". وَكُتِبَ إِلَى النَّجَاشِيِّ وَمَقَوْسِ
مِصْرَ، وَغَيْرِهِمْ ...

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ:

فَهَذِهِ بَعْضُ كِتَابَاتِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى مَلُوكِ
الْأَرْضِ فِي زَمَنِهِ، وَقَدْ وَقَعَتْ بَعْدَ صَلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ، بَعْدَ أَنْ تَمَكَّنَ
مَجْدُهُ، وَاكْتَمَلَ اسْتِقْرَارُهُ .

قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: " لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ، كَتَبَ
إِلَى مَلُوكِ الْأَرْضِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رِسْلَهُ، فَكَتَبَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ،
فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا إِذَا كَانَ مَخْتُومًا، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا
مِنْ فِضَّةٍ، وَنُقِشَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَسْطُرٍ: مُحَمَّدٌ سَطْرٌ، وَرَسُولٌ سَطْرٌ،
وَاللَّهُ سَطْرٌ، وَخْتَمَ بِهِ الْكُتُبَ إِلَى الْمُلُوكِ، وَبَعَثَ سِتَّةَ نَفَرٍ فِي يَوْمٍ
وَاحِدٍ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةِ سَبْعٍ " .

وَبَعَثَ دِحْيَةَ بْنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ، وَاسْمُهُ هِرَقْلٌ، وَهَمَّ بِالْإِسْلَامِ وَكَادَ، وَلَمْ يَفْعَلْ، وَقِيلَ: بَلِ اسْلَمْ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ...!

وَأَمَّا كَسْرَى فَارِسَ، فَمَزَقَ كِتَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ مَزِّقْ مُلْكَهُ» فَمَزَقَ اللَّهُ مُلْكَهُ، وَمَلَكَ قَوْمَهُ.

وَأَمَّا الْمُقَوِّسُ، عَظِيمُ الْقَبْطِ، فَقَالَ خَيْرًا، وَقَارَبَ الْأَمْرَ وَلَمْ يُسَلِّمْ، وَأَهْدَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَارِيَةَ..

وَالْمَتَأَمِّلُ لِهَذِهِ الْكُتُبِ وَالخَطَابَاتِ يَخْرُجُ بِالفَوَائِدِ التَّالِيَةِ:

أولاً: عَالَمِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّهُ خَاتَمُ الْأَدْيَانِ، وَرَسُولُ اللَّهِ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ..

ثانيًا: أن تلك الرسائل تَمَّت في وضع إسلاميٍّ مستقر، وقد مُكِّن لرسول الله في المدينة، واستضافه الأنصار، وهزم المشركين وانتصر في بدرٍ والخندق، وكتب صلح الحديبية.. وأوقفت الحرب، وأجلى اليهود... فكان مناسبًا الاشتغال بالدعوة العالمية ومخاطبة الأمم الأخرى.

ثالثًا: شجاعةُ الدولة الإسلامية، وقوتها وذلك من قوة قائدها وشموخه عليه الصلاة والسلام، فلم يتهيبُ مخاطبتهم، بل حدَّهم عقابَ الله ونقمتَه... (أسلم تسلم) وجمَّع فيها بين الترغيب والترهيب.

اللهم وفقنا للخيرات، وجنبنا الغفلة والحسرات...

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين...

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

وبعد :

ومن الفوائد أيضاً يا كرام :

رابعاً : في ذلك إقامة الحجة عليهم ، وتنبية لأقوامهم بمراجعة
الحق ، فقد ذاع خبره ، وشاعت معجزاته ، وانتصر على قومه ،
ولم يبق إلا الإسلام أو الردُّ الجميل .

خامساً : أن من أساء الردَّ ككسرى أنوشروان ، فقد دعا عليهم
ومزق الله ملكهم ، وقتله ولده .

سادساً : أن مثل تلك الخطابات قد أظهرت أن هنالك وضعاً
جديداً في الجزيرة العربية ، وأن الإسلام قد انتشر ، وعمت

خيراته الأقطار ، ولذلك قال هرقل في حديثه المشهور مع أبي
سفيان وقد ظهرت علامات النبوة والمصادقية... (فَإِنْ كَانَ مَا
تَقُولُ حَقًّا، فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ
خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ،
لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ-أي تكلفتُ- ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ
قَدَمَيْهِ،..).

سابعاً: إنزال الناس منازلهم ، فناداهم كما يُنادون عند أمهم..
عظيم الروم، عظيم القبط وأشباهاها.

ثامناً: وجوب نشر الدعوة الإسلامية، وتذكير الآخرين، كما قال
الله: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة..) سورة
النحل .

تاسعاً: استفتاحُه رسائلُه بالبسملة وأحياناً يورد آيةً قرآنيةً ، وله وقعٌ على الكفار والمخالفين .

ومنها أيضاً: ثقته بوعدهِ ربه تعالى بظهور الدين ، وحصول التمكين ، وأن كثرة الأمم واختلاف زعمائها لا يؤذُنُ بالخوف أو التهيب ، بل وقعت الهيبة منهم والاضطراب وقد صحَّ حديث :
(نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ).

ولذلك لا بد أن تكون تلك الخطابات محل اطمئنان وافتخار لدينا ، بأن العاقبة للمتقين ، وظهور القوم المستضعفين إذا صبروا، وسارعوا وكانوا بآياتنا يوقنون !..

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى

إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى

آلِ إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ...

اللهم آت نفوسنا تقواها....

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى ...

اللهم احفظ بلادنا بالأمن والإيمان...

٣٧ / كَفَاكَ مُنَاشِدَتَكَ رَبِّكَ:

الحمد لله ناصر دينه، ومظهر أوليائه، و متمم نعمته، (فانتقمنا من

الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين).

نحمده على أفضاله، ونشكره على خيره وأنواله،... أشهد أن لا إله

إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى

الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً...

(ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً).

أيها الناس :

هنا مشاهد تجذب المرء من غزوة بدر، جدير بنا فهمها وتعلمها،

واستلهام درسها وعظاتها...

وفي بدر العجبية من معانٍ * * * جليات لها وقع السنان

جاء في الصحيحين عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ :
حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ ، وَأَصْحَابُهُ
ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْقِبْلَةَ ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ : " اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا
وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ
أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ " . فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَا دَامَ يَدَيْهِ
مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَخَذَ
رِدَاءَهُ ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ ، وَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ،
كَفَاكَ مُنَاشِدَتَكَ رَبِّكَ ؛ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ : { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ

الْمَلَائِكَةُ مُرْدِفِينَ } ، فَأَمَدَهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ . قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ : فَحَدَّثَنِي
ابْنُ عَبَّاسٍ ، قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ
رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ ، وَصَوْتَ
الْفَارِسِ يَقُولُ : أَقْدِمْ حَيْزُومٌ . فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ ، فَخَرَّ
مُسْتَلْقِيًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ حُطِمَ أَنْفُهُ ، وَشَقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ
السَّوْطِ فَاخْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ
رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : " صَدَقْتَ ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ
السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ " . فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ ، وَأَسْرُوا سَبْعِينَ : قَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ : فَلَمَّا أَسْرُوا الْأَسَارَى ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ : " مَا تَرُونَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسَارَى ؟ "
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ

مِنْهُمْ فِدْيَةٌ فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ
لِلْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا تَرَى يَا ابْنَ
الْخَطَّابِ؟ " قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو
بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا، فَضَرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمْكِنَ عَلَيَّا مِنْ
عَقِيلٍ، فَيَضْرِبُ عُنُقَهُ، وَتُمْكِنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيًّا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبُ
عُنُقَهُ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أُمَّةُ الْكُفْرِ، وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهُوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ
الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ
يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ
وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءَ بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءَ تَبَاكَيْتُ
لِبُكَائِكُمَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَبْكِي لِلَّذِي

عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخَذِهِمُ الْفِدَاءَ ؛ لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ
عَذَابُهُمْ أَذْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ " . شَجَرَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : { مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ
أَسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ } . إِلَى قَوْلِهِ : { فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ
حَلَالًا طَيِّبًا } . فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ .

وهنا وقفاتٌ ودروس :

أولها: أَنَّ الْمَلْجَأَ لِلَّهِ ، وَالرَّجَاءَ فِيهِ ، وَالثِّقَةَ عِنْدَهُ ، وَالدُّعَاءَ لَهُ ، لَا
سِوَا فِي مِثْلِ تِلْكَ الْحَوَادِثِ وَالْمَوَاقِعِ ، فَهُوَ النَّصِيرُ لِمَنْ قَلَّ
عَدَدُهُ ، وَالْعَزِيزُ لِمَنْ هَانَتْ قُوَّتُهُ ، وَالْفِتَاحُ لِمَنْ اسْتَعْلَقَتْ عَلَيْهِ
السُّبُلُ ، وَالرِّزَاقُ لِمَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ ، وَالْمَجِيبُ لِمَنْ دَعَاهُ وَتَوَكَّلَ
عَلَيْهِ... (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) سورة

النمل . ولذلك مع الاستعداد المادي كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مستعداً معنوياً بالدعاء والاستغاثة ، ودوام الإلحاح على ربه
المتفضل الكريم ... (وما النصرُ إلا من عند الله العزيز الحكيم)
سورة آل عمران .

حتى ان صاحبه أبا بكر اندهش من ذلك الإلحاح، وقال: (يَا نَبِيَّ
اللَّهِ، كَفَّاكَ مُنَاشِدَتَكَ رَبِّكَ ؛ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ : { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ .. } .

ثانيها: المددُ الملائكي: فضلٌ من الله، وجنودٌ عظام ، ونعمة
جليلة، وعزة قاهرة ، وإذلال للعدو ، ومعجزة خارقة، وتثبيت
للقوم المستضعفين ..! فمن يطيق مقابلتهم أو رؤية أشكالهم

!؟...

قال تعالى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ

مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ) سورة الأنفال.

أي: اذكروا نعمة الله عليكم يوم بدر، لما قارب التقاؤكم

بعدوكم، استغثتم بربكم، وطلبتم منه أن يعينكم وينصركم

فَاسْتَجَابَ لَكُمْ وَأَغَاثَكُمْ بَعْدَ أَمُورٍ. منها: أن الله أمدكم بِالْفِ

مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ أي: يردف بعضهم بعضا وثبتكم فلا تفرون،

وألبسكم السكينة فلا تضطربون، وانزل عليهم المطر والنوم فلا

يقلقون .

ثم بين سبب ذلك ، وأنه ما أنزل الملائكة إِلَّا بُشْرَى أَي: لتستبشر

بذلك نفوسكم، وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَإِلَّا فالنصر بيد الله، ليس

بكثرة عَدَدٍ وَلَا عُدَدٍ.. إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ لَا يَغَالِبُهُ مُغَالِبٌ، بل هو القهار،

الذي يخذل من بلغوا من الكثرة وقوة العدد والآلات ما بلغوا.

حَكِيمٌ حَيْثُ قَدَّرَ الْأُمُورَ بِأَسْبَابِهَا، وَوَضَعَ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا.

اللَّهُمَّ أَعْنَا وَلَا تُعِنِّ عَلَيْنَا، وَانصُرْنَا وَلَا تَنْصُرْ عَلَيْنَا، وَانصُرْنَا عَلَيَّ

مَنْ بَغَى عَلَيْنَا...

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ...

الحمدُ لله وحده ، والصلاةُ والسلام على من لا نبي بعده، نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

وبعد : ومن الدروس أيضًا يا مسلمون :

ثالثها : قال العلماءُ : كانت مناشدته ربّه بصوتٍ مرتفع ، وهذه
المناشدة إنما فعلها النبي صلى الله عليه وسلم ليراه أصحابه
بتلك الحال ، فتقوى قلوبهم بدعائه وتضرعه ، مع أن الدعاءَ
عبادةٌ وقد كان وعده الله تعالى إحدى الطائفتين ؛ إما العير وإما
الجيش ، وكانت العيرُ قد ذهبت وفاتت ، فكان على ثقةٍ من
حصول الأخرى ، لكن سأل تعجيل ذلك وتنجيذه من غير أذى
يلحق المسلمين ، قوله تعالى : { أني ممدكم بألف من الملائكة
مردفين } أي : معينكم ، والإمداد : الإعانة . ؟ ومردفين :
متابعين .

رابعها: أن مشاركة الملائكة كانت قتالاً حقيقياً ، قتلوا وأسروا في الكفار جرئاً على سنن الله في الأرض ، وكان ذلك بمثابة التثبيت والمدد لأهل الإيمان ، والتحطيم والإذلال لأهل الكفر والشنآن ، وإلا فالله قادر على تدميرهم بجناح بعوضة ، ولكنها سنن وابتلاءات .

وخامسها: فضلُ عمر وشدتهُ في الحق ، حيث نزل القرآنُ موافقاً لاختياره من الإجهاز عليهم ، وقد استشارهم عليه الصلاة والسلام كعادته المعروفة ، فهوي رأي أبي بكر قبول الفداء أو تعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ... ولذلك وجدهما عمر يبكيان لرسول الله وأبي بكرٍ .. (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ...

وقوله: ﴿حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ﴾ أَي: يُبَالِغُ فِي قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ
وَأَسْرِهِمْ، ﴿تُرِيدُونَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ بِأَخْذِكُمْ
الْفِدَاءَ، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ يُرِيدُ لَكُمْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ بِقَهْرِكُمْ
الْمُشْرِكِينَ وَنَصْرِ دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، "وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".

ثم عفا الله عنهم وسامحهم.. (فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وقال في الحديث : (لَمْ تَحِلَّ
الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِنَا ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجَزَنَا فَطَيَّبَهَا
لَنَا) .

وصلوا وسلّموا يا مسلمون على رسول الأنام ، والقائد الهمام ،
صلّى الله عليه

٣٨ / أطلقوا ثمامة والاحتواء الدعوي:

الحمدُ لله تعالى ، ألهمنا الذكرَ والحكمة ، وأمدَّ عباده بالخير والنعمة ،
أوسع الأفهام ، ورزق الأنام .. (وآتاكم من كل ما سألتموه)....
أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده
ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ...
(ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ، ويُعظم له أجرًا)...

أما بعد:

إخوة الإسلام :

تبقى السيرة النبوية مخزونًا متينًا لفنون الدعوة وأساليبها ، وكيفية
الجدب والتأثير والاحتواء . ومن جميل احتوائه قدرته عليه

الصلاة والسلام في اختراق قلوب الزعماء والتأثير فيهم ، مثلما

صنع في سيد بني حنيفة ثمامة بن أثال...!

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بعث رسول

الله صلى الله عليه وسلم خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني

حنيفة يقال له : ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية

من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم،

فقال : " ماذا عندك يا ثمامة ؟ " فقال : عندي يا محمد خير إن

تقتل تقتل ذا دم ، وإن تُنعم تُنعم على شاكِرٍ ، وإن كنت تريد المال

فسل تعط منه ما شئت . فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم

حتى كان بعد الغد ، فقال : " ما عندك يا ثمامة ؟ " قال : ما قلت

لك ؛ إن تُنعم تُنعم على شاكِرٍ ، وإن تقتل تقتل ذا دم ، وإن كنت

تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلِّ تُعْطِ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ: "مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟" فَقَالَ: "عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ؛ إِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلِّ تُعْطِ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ". فَاذْهَبْ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسِلْ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ، مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهِكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنَّ

خَيْلِكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصَبَوْتَ؟ فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَسَلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويروى أنَّ مكةَ جاءت بعد ذلك، كتبوا إلى الرسول يقولون: إنَّ عهدنا بك تصلُّ الرحم، وتحض على ذلك.. وإنَّ ثمامة بن أثال قد قطع عنا ميرتنا وأضرَّ بنا. فإن رأيت أن تكتب إليه أن يبعث بما نحتاج إليه فافعل. فكتب إلى ثمامة بأن يطلق لهم ميرتهم فأطلقها.

وهنا وقفاتٌ عباد الله تأملوها، وعيشوا درسها :

أولاً: حسنُ خلقه عليه الصلاة والسلام ، وإنزالُ الناس منازلهم،
وقد عُرف بالربيع الجميل في سلوكه ومنطقه ونظرته للآخرين
(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ).

ثانياً: روعةُ التربية المسجدية ، التي سيعاين فيها الأسيرُ
الموثوق، ترابط الجماعة، وروعة الصلاة، وجمال القرآن ،
وتآخي أهل الإيمان .

وثالثاً: الحلمُ النبوي والاحتواء الدعوي المشرق ، بوضعه في
المسجد الرقراق ، وترك إجابته على كلامه المنتفخ...! ومثل
تلك الأخلاق الزاهرة سببٌ في هداية كثيرين ، وكسر شدتهم ،
وإذهاب خيلائهم . يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ، مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ

أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهِكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا

إِلَيَّ، ..!

ورابعاً : الملاطفة لمن يُرجى إسلامه من الأسارى ، إذا كان في

ذلك مصلحة للإسلام، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدو

الكثير من قومه " .

(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ

بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا

كبيراً).

اللهم وفقنا للخيرات ، وجنبنا الغفلة والحسرات...

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين ،

فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم ...

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ،
وعلى آله وصحبه والتابعين ...

وبعد :

ايها الإخوة الفضلاء:

ومن فوائد القصة أيضًا: أن الإسلام يُغيّرُ سلوكَ المؤمن، فتقلبُ
أفعاله نصرَةً وتأييداً للدين والمسلمين، كما فعل ثمامةٌ بعدم
إرساله القمح لأهل مكة إلا بإذن من الرسول - عليه السلام .
ومنها : ينبغي أن يخلعَ المؤمنُ بعد نعمة الهداية، كلَّ علاقاته
السابقة، وصلاتهِ الشركية ، ويعيشَ معاني الاستقامة والالتزام
بأوامر رب العالمين بعد إيمانه (قل آمنْتُ بالله ثم استقم) .

ومنها : جوازُ ربطِ الكافرِ في المسجدِ والمنِّ عليه ، واستبشارُ

رسولِ اللهِ بهدائيتهم والدعاء لهم ، وتشجيعه على العمرة والعمل

الصالح ، وأن الدخولَ في دينِ الله بالشهادة والاعتسال .

ومنها : تصديقُ الإيمانِ وقفوهُ بالعملِ الصالح ، ليرسخَ وتثبتَ

النفس ، كما صنعَ هنا عمرةً ، وحصارًا على الكفارِ في معاشهم

تأديبًا وزجرًا .

ومنها : حسنُ أخلاقِ رسولِ الله مع أعدائه وقومه وبُعدُ نظره ،

وعفوهُ عنهم ليكسبَ إيمانهم ورجوعهم عن الباطل .

ومنها : الاعتزازُ بنعمةِ الهدايةِ وانشراحِ الصدرِ (فمن يرد الله أن

يهديه يشرح صدره للإسلام) .. فقد عيّرتُه مكةُ بأنه صبا ، فقال :

لا، ولكن أسلمتُ مع محمد ﷺ. ومقامُ المال عند الناس،

وحفظُ العرب لصناعة الجميل والإحسان ...

وصلوا وسلّموا يا مسلمون على الرسول الفياض، ومتمم

الأخلاق، صلّى الله عليه....

٣٩ / قوموا إلى سيدكم، ونهاية قريظة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبذكره تُقضى الحاجات ،
وبشكره تُنالُ الأمنيات نحمده على آلائه، ونشكره على فضله
وإنعامه...

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده

ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.....

أما بعد:

إخوة الإيمان:

ماكانت غزوة الأحزاب لتنقضي حتى توجه صلى الله عليه وسلم

إلى جيرانه من بني قريظة، مأمورا من ربه تعالى، ليُشخَنَ في

ناقضي العهد، وجاحدي الجوار، وناكري المعروف... فقد

جاء جبريلُ عليه السلام إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - ،
وقال له: أو قد وضعت السلاح يا رسول الله... قال: نعم. فقال
جبريل : فما وضعت الملائكةُ السلاح بعد...!! وإن الله - عز
وجل - يأمرُك يا محمد بالمشير إلى بني قريظة، فإني عامدٌ إليهم
فمززلٌ بهم... وهنا هنا نصوصٌ تجلِّي مصيرَهم وما تم فيهم ..
جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : أُصِيبَ سَعْدُ
يَوْمَ الْخَنْدَقِ ؛ رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ : ابْنُ الْعَرِيقَةِ رَمَاهُ فِي
الْأَكْحَلِ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْمَةً فِي
الْمَسْجِدِ يَعُودُهُ مِنْ قَرِيبٍ فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مِنَ الْخَنْدَقِ وَضَعَ السَّلَاحَ ، فَاعْتَسَلَ ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ
يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْغُبَارِ ، فَقَالَ : وَضَعْتَ السَّلَاحَ ؟ وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ

اُخْرِجْ إِلَيْهِمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَأَيْنَ ".
فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحُكْمَ فِيهِمْ إِلَى سَعْدٍ، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ
فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسَبَى الذَّرِيَّةُ وَالنِّسَاءُ، وَتُقَسَمَ
أَمْوَالُهُمْ.

وفي رواية أخرى: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ
أُجَاهِدَ فِيكَ مِنْ قَوْمٍ كَذَبُوا رَسُولَكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي
أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَافْجُرْهَا،

وَاجْعَلْ مَوْتِي فِيهَا، فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ فَلَمْ يَرْغَبْهُمْ - وَفِي الْمَسْجِدِ
مَعَهُ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ - إِلَّا وَالِدٌ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ
الْخَيْمَةِ، مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ؟ فَإِذَا سَعْدٌ جُرْحُهُ يَغْدُ دَمًا،
فَمَاتَ مِنْهَا - أَيَّ يَسِيلُ.

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى
حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى
سَعْدٍ فَأَتَاهُ عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا قَرِيبًا مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَنْصَارِ: " قَوْمُوا إِلَيَّ سَيِّدِكُمْ ". أَوْ: "
خَيْرِكُمْ ". ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَيَّ حُكْمَكَ ".

وهنا وقفاتٌ وعظاتٌ من هذه الأحاديث الثلاثة:

أولاً: قوله: (أصيبَ سعدٌ) المراد به سعد بن معاذ سيد الأنصار رضي الله عنه ، ورأسهم ومقدّمهم ، والذي أبلى في الإسلام المواقعَ العظام .

ثانياً: في يوم الخندق أي معركة الأحزاب ، التي تحزبَ فيها المشركون ، وحرصتهم اليهود ، وشاركتهم قبائلُ عربية لا ستئصال دين الله تعالى ، فرد الله كيدهم في نحورهم ، لم ينالوا شيئاً .

وكان سعد من القادة الأفاضل ، الذين ثبتوا في بدرٍ والأحزاب ، ففي بدرٍ غير بنود النصره وزادها إحصاءً ، وفي الأحزاب قال لسيدي غطفان: والله لا نعطيهم إلا السيف..!

وثالثًا: أن حكمة رسول الله الدعوية اقتضت تحييد اليهود والقبائل المحيطة ، بالإسلام أو كتابة العهود، ولذلك كاتبهم على حفظ المدينة ، وعدم إعاية العدو ..! ولكنهم في الأحزاب نكصوا ، ونقضوا بتحريض من حُيِّي بن أخطب اليهودي صاحب النصير .

ورابعًا: من رحمة الله بعباده أن صدوهم بالخندق المحفور، ولم ينشب قتالٌ، وإنما تراشقوا بالنبل ، وأصيب سعدٌ بسهم ابن العرقة أحد المشركين ، فضربت له خيمةٌ في المسجد ، يُعالج فيها ويزوره عليه الصلاة والسلام عن قرب .

وخامسًا: صدقُه وموقفه الشديد من أعداء الله فيقول : **اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَجَاهِدَ فِيكَ مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا**

رَسُولَكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ
حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي أَجَاهِدُهُمْ فِيكَ، ...!

وسادسا : توفيقُ الله له في إصابة الحق في بني قريظة، وقد كانوا
حلفاءه في الجاهلية ، وتوقعوا الإحسانَ منه، فألقمهم الميزان،
وأن يعاملوا معاملة مجرمي الحروب الذين خانوا الجوار ،
ونكثوا العهود، ففضى فيها بالقتلِ والسبي وهو حكمُ الحق
الملك تبارك وتعالى . (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا
اللَّهَ).

اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها
ومولاها ...

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين ...

الحمدُ لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على
الظالمين ، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين...

وبعد :

أيها الإخوة الكرام :

ومن الفوائد هنا أيضًا: أن الجريمة التي قام بها اليهود لا تغتفر في
معاهدات الأمم وعلاقاتها ، فقد خانوا في أحلك الظروف
وأصعبها ، ولذلك جاء الأمر من الله ، وصاح صلى الله عليه
وسلم: (لا يُصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة) وحاصرهم
بضع عشرة يومًا ، حتى قُذف فيهم الرعب ، ودارت بهم الدوائر ،
فنزلوا على المحكمة الشرعية .

ومنها : استجابة الصحابة رضي الله عنهم للنداء النبوي، بعد همّ الأحزاب وتعبها وحصارهم ، وفي الجوع القائم ، والبرد القارس، فانتهوا من معركةٍ ليدخلوا معركةً جديدةً .. وهذا يدلُّ على كمالِ دينهم ومحبتهم لرسولهم عليه الصلاة والسلام .

ومنها : أنّ الشدائد تكشفُ معادنَ الرجال وصبرهم وتقواهم، ولذلك لما ثبت أهلُ الإيمان أورثهم الله غنائمَ بني قريظة، ورد عنهم كيدَ المتحزبين، وقال : (الآن نغزوهم ولا يغزونا).

ولذلك قال في ختام الغزوة ... (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا، وَأَوْرَثَكُمُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) سورة الأحزاب : ٢٦ . ٢٧ .

وصلوا وسلّموا يا مسلمون.....

١٤٠ / إلى الرفيق الأعلى، والحدث الحزين:

الحمدُ لله الذي تفرد بالبقاء ، وكتبَ الموتَ على الناسِ والفناء ..
وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُدْنُوبِ
عِبَادِهِ خَبِيرًا .

خلق الخلائق فقدر آجالهم، وكتب وفياتهم .. (فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا
يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ).

أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ...

أما بعد :

أيها الناس :

خَيْرَ رَسُولِنَا الْكَرِيمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ،
فَحَضَرَتْ سَاعَتُهُ، وَحَانَ خَتَامُهُ، وَوَدَعَ أَصْحَابَهُ ، وَكَانَ يَوْمًا
عَصِيبًا ... (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) سورة الزمر .

ولا تدري كيف احتمل الصحابة تلك الساعة الشديدة، والظلمة
الموحشة، والكآبة القاتلة..

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: لما كان اليوم الذي دخل فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، أضاء منها كل شيء، فلمَّا
كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ وَمَا نَفَضْنَا عَنِ النَّبِيِّ
-صلى الله عليه وسلم- الْأَيْدِي حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا.

قال الإمام ابن رجب رحمه الله: "ولما توفي اضطرب
المسلمون، فمنهم من دهش فحولط، ومنهم من أقعد فلم يطق
القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر
موته بالكلية".

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسُّنْح - موضع - فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: وقال عمر رضي الله عنه: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنَّه الله فليُقَطَّعنَّ أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقَبَّله، قال: بأبي أنت وأمي، طبتَ حياً وميتاً، والذي نفسي بيده لا يُذيقك اللهُ الموتين أبداً. ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: (ألا من كان يعبد محمداً صلى الله عليه وسلم فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)، وقال: {إِنَّكَ

مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ}، وقال: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}، فنشج الناس ييكون .

وعن أنس أن فاطمة بكت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات فقالت: (يا أبتاه، من ربّه ما أدناه، يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه) .
ويقول أنس رضي الله عنه: (قلّ ليلة تأتي علي إلا وأنا أرى فيها خليلي عليه السلام) ويقول ذلك وتدمع عيناه.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: آخِرُ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ اشْتَكَى، فَأَمَرَ أَبَا بَكْرٍ فَصَلَّى

لِلنَّاسِ، فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُتْرَةَ حُجْرَةٍ
عَائِشَةَ فَنَظَرَ إِلَى النَّاسِ، فَنَظَرَتْ إِلَى وَجْهِهِ كَأَنَّهُ وَرَقَةٌ مُصْحَفٍ،
حَتَّى نَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقْبَيْهِ لِيَصِلَ إِلَى الصَّفِّ، وَظَنَّ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ أَنْ يُصَلِّيَ لِلنَّاسِ، فَتَبَسَّمَ
حِينَ رَأَاهُمْ صُفُوفًا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَيْهِمْ أَنْ أَتَمُّوا صَلَاتَكُمْ، وَأَرُحَى
السُّتْرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَتَوَفَّى مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ.

وهنا دروس ووقفات يا مسلمون :

أولاً: أنّ الموتَ حق، وما مات رسول الله حتى أدى الأمانة وبلغ
الرسالة، ونصح الأمة .

ثانياً: أن من نزلت به مصيبة فليتذكر مصيبة الأمة كلها في فراقه،
وجرح الصحابة في فقدانه ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

قال: "إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي، فإنها من أعظم المصائب".

ثالثاً: لقد قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم نحبه في السنة الحادية عشرة من الهجرة - وعمره ثلاث وستون سنة، امتلأت بالعمل والصدق والجهد المتين، تعلمت أمته منها علو الهمة، والمسارة في الخيرات، واغتنام الفرص، والثبات على المبادئ، والتعلق بالواحد الأحد.

ورابعاً: شدة الوقع على الصحابة الكرام، وقد خالطوه وشمّوا حديثه، وحنّوا لروحه، واستطابوا مجالسه.. ثم فجاءةً تتقلب عليهم الأمور، فيدخلون المسجد فلا نورُه الساطع، ويسيرون في السكك ولا يشاهدونه عليه الصلاة والسلام...!

تخيل لو كنت واحدا منهم... هل ستطيقُ ذلك..!؟!

وهل ستتحملُ أن تعيشَ بدون نهرٍ منسابٍ كنتَ تتغذى عليه ..

ومظلةٍ إيمانيةٍ كنتَ تستظلُّ بها...

أو ورقة المصحف نوراً وإضاءةً...!!

أَتَنَسَى رَسُولَ اللَّهِ أَفْضَلَ مَنْ مَشَى * * وَأَثَارُهُ بِالْمَسْجِدَيْنِ كَمَا هِيَ

وَكَانَ أَبْرَّ النَّاسِ بِالنَّاسِ كُلِّهِمْ * * وَأَكْرَمَهُمْ بَيْتًا وَشِعْبًا وَوَادِيَا

تَكَدَّرَ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ * * عَلَيْهِ سَلَامٌ اللَّهُ مَا كَانَ صَافِيَا

فَكَمِ مِنْ مَنَارٍ كَانَ أَوْضَحَهُ لَنَا * * وَمِنْ عَلَمٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ عَافِيَا

ولذلك كان الحادثُ فاجعةً عليهم ، لا سيما عمر رضي الله عنه،

وكذب الخبرَ حتى سمعَ الآيةَ من الصديق ..!

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ

انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ

وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) سورة آل عمران .

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا

وعذاب الآخرة...

أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين ...

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا
محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه ...

أما بعد:

أيها الإخوة الفضلاء:

ومن دروس وفاته عليه الصلاة والسلام هنا :

فضلُ أبي بكرٍ رضي الله عنه ، وحُسنُ إدارته للموقف والأزمة،
فقد ألهمه الله الرشاد، وأصابَ الحق ، ووعى القضية، وسدد
الآيات في موضعها، وعلمهم أنّ الأمر قد انتهى، ولم يبقَ إلا أن
تكونوا على أثر صاحبكم وخليكم صلى الله عليه وسلم ،
فتموتون على هديه وسنته... (لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ

حسنة) سورة الأحزاب.

وما عند الله خير لرسوله فقد اختار مجاورة الجنة مع المنعم عليهم، قالت عائشة: فَلَمَّا أَفَاقَ شَخْصَ بَصْرُهُ نَحَوَ سَقْفِ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى". فَقُلْتُ: إِذَنْ لَا يُجَاوِرُنَا. فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ.

ومنها: في قوله (وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا) تحذير لهم، أي شَيْئًا مِنَ الضَّرِّ، وَلَوْ قَلِيلًا، لِأَنَّ الْإِرْتِدَادَ عَنِ الدِّينِ نَكْسَةٌ وَضِياعٌ، وَإِبْطَالٌ لِمَا فِيهِ صَلاَحُ النَّاسِ، فَالْمُرْتَدُّ يَضُرُّ بِنَفْسِهِ وَبِالنَّاسِ وَتَسْوَأُ حَالَهُ، وَلَا يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا، وَلَكِنَّ الشَّاكِرَ الثَّابِتَ عَلَى الْإِيْمَانِ يُجَازَى بِالشُّكْرِ، وَيُنَالُ الْفَضْلَ).

وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْآيَةِ الْعِتَابُ عَلَى مَا وَقَعَ مِنَ الْإِضْطِرَابِ، وَالشَّانُ عَلَى الَّذِينَ ثَبَّتُوا وَعَظُّوا النَّاسَ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ وَقُوعِ الْإِرْتِدَادِ عِنْدَ

مَوْتِ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ، وَقَدْ وَقَعَ مَا حَذَّرَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ بَعْدَ
وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ إِذْ ارْتَدَّ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَظَنُّوا اتِّبَاعَ الرَّسُولِ
مَقْصُورًا عَلَى حَيَاتِهِ ، ثُمَّ هَدَاهُمُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَالآيَةُ فِيهَا إِنْبَاءٌ
بِالْمُسْتَقْبَلِ .

ومنها : أنّ وفاة رسول الله وإن كانت مصيبة مؤلمة ، إلا أن الدين
لم ينقص ، والشرع لم يتعثر ، والخير لا يزال متدفقا من كتابه
المجيد ، وسنته الخالدة ، وسيرته الزاهرة... ومن استعصم بها
أفلح ونجا ، ومن ضيعها هلك وخسر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله
...

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ
إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى
آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ....

اللهم ربنا لا تزغ قلوبنا... .

اللهم ربنا آتنا في لدنيا حسنة... .

اللهم أعنا ولا نعم علينا، وانصرنا... .

اللهم احفظ بلادنا بالأمن والإيمان... .

اللهم وفق إمامنا لما تحب وترضى... .

اللهم انصر جنودنا المرابطينَ على الحدود... .

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك... .

تم كتاب "ثَنِيَّاتُ الْوَدَاعِ" بحمد الله وتمقيقه

، ورزقنا الله وإياكم العلم النافع، والعمل

الصالح ، إنه جواد كريم... .

فهرس الموضوعات

١البداية
١١١/ النذارة الأولى:
٢٠٢/ دروسُ حادثة شق الصدر:
٢٨٣/ العالم قبل البعثة :
٣٧٤/ راعي الغنم والمجد المنتظر:
٤٤٥/ نزول الوحي والحدث الأعظم :
٥٤٦/ من الحكمة الدعوية:
٦٣٧/ المصلي وسلا الجزور:
٧١٨/ لا تحزن إن الله معنا:
٨٠٩/ البيعة المصيرية ووفاء الأبطال:
٨٩١٠/ أول خطاب في المدينة:
٩٧١١/ قصة الطائف ودروسها:
١٠٧١٢/ دروس الهجرة الى الحبشة:
١٢٢١٣/ المسلمون الأوائل:
١٣٤١٤/ من خبر الهجرة:
١٤٤١٥/ وقفات من غزوة بدر:
١٥٥١٦/ أبو الوليد والعروض المغربية:
١٦٥١٧/ دروس غزوة أحد:
١٧٨١٨/ وقفات على شفير الخندق:
١٨٩١٩/ فتح مكة ..دروس وعبر:
٢٠١٢٠/ دروس من غزوة حنين:
٢١٠٢١/ حادثة بئر معونة ومصراع الفضلاء :
٢١٩٢٢/ ابتسامة البرد النجراني:

ثَنِيَّاتُ الْوَدَاعِ

(خطب في السيرة النبوية)

- ٢٢٨ ٢٣ عاين الحق ولكن خشي العار:
- ٢٣٨ ٢٤ صفات فاتح خيبر:
- ٢٤٧ ٢٥ القائد الكبير واللعاعة:
- ٢٥٨ ٢٦ حرز الأميين:
- ٢٦٩ ٢٧ الدور الخياني للمنافقين:
- ٢٨١ ٢٨ طعام أهل الخندق:
- ٢٩٠ ٢٩ شخصية رسول الله:
- ٢٩٩ ٣٠ فنون تعليم الجاهل :
- ٣٠٩ ٣١ حديث الخيمة المشرق:
- ٣١٨ ٣٢ حديث الهجرة وبلوغ المدينة:
- ٣٢٩ ٣٣ أشيروا علي أيها الناس:
- ٣٣٧ ٣٤ أول عمل بعد الهجرة:
- ٣٤٦ ٣٥ منتهى صناديد مكة:
- ٣٥٥ ٣٦ كتاباته الدعوية وعلان الإسلام دولياً:
- ٣٦٧ ٣٧ كَفَاكَ مَنَاشِدَتَكَ رَبِّكَ:
- ٣٧٨ ٣٨ أطلقوا ثمامة والاحتواء الدعوي:
- ٣٨٧ ٣٩ قوموا إلى سيدكم، ونهاية قريظة:
- ٣٩٦ ٤٠ إلى الرفيق الأعلى، والحدث الحزين:
- ٤٠٨ فهرس الموضوعات

